الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

التصور الإسلامي للنقد الأدبي عند "الرافعي"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين :
* رزيقة بوبريم
* عفاف بوالقديد

إشراف الأستاذ:
عبد الحفيظ بوريو

السنة الجامعية: **2014/2013**

اعتراف بالجميل

إنه لمن شيم الكرام الاعتراف بشيم الأكرمين، فالزهرة تنبعث أحيانا من بين الصخر، وهذا هو بصيص الأمل في الليالي المظلمة، وتماشيا مع ما جرت عليه العادة فإننا نقدم حصيلة مجهودنا إلى صاحب الشخصية القوية الذي يتمتع بالعدل والذكاء والموضوعية، إلى المسامح في غير ضعف، إلا الحازم في غير عنف، إلى المثقف الواسع الأفق الذي أولى اهتماما بكل ما سبق، فاعذر قلمنا الذي يرقص بلا نغم على جسد الورقة البيضاء، لأنك تعقد أجود أنواع الشكر والثناء" أستاذنا القدير " عبد الحفيظ بوريو"

والشكر موصول إلى من صاغوا لنا من علمهم حروفا، ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح إلى من علمونا أن الحياة وهم طويل كعمر السماء كعمر الرحيل، وأن العلم السلاح البديل والأدب الكلام الجميل إلى أساتذتنا خاصة:

سليم بوعجاجة– زبير بن سخري– بشير عروس– طارق زيناي

وإلى كل أساتذتنا من المرحلة الابتدائية إلى الجامعة

فنقول لهم دمتم سراجا يستضاء به حيث حللتم.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم معنا في هذا

العمل ولو بنصيحة أو كلمة طيبة

لأن الكلام النابع من القلب ليس له

مكان إلا القلب

إلى كل أحبتنا في

الله.

اهـــــداء

إلى منارة العلم والإمام المصطفى، إلى الأمين الذي علم العلم، إلى سيد الخلق إلى رسولنا الكريم

محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من يعجز فيها اللسان عن التعبير والقلم عن الكتابة، فلو مكثت العمر كله أجمع كلمات العالم لشكرك فلن يكفيني عمري ولا كلماتي، إليك أنت يا باعثة كياني وحافظة عهدي وإشراقة ضميري ومطية سهدي

"أمـــــــــــــــي الغالية".

إلى ذلك العظيم الذي طرز قلبي ومهجتي وحياتي بالمعاني النبيلة التي تنبض سحرا وبرهانا في الوجود، فتلقيت من نظرات عيونه دروسا علمني فيها معنى المروءة بعبارة الاثنين: العلم والأخلاق

" أبـــــــــي العزيز".

إلى سندي وعضدي ومتكئي في هذه الحياة، إلى شموع حياتي ورفاق دربي الذين كانت قلوبهم معي في كل خطوة.

"إخواني وأخواتي".

إلى من أرشدوني إلى طريق الفلاح وعلموني معنى الكفاح ودلوني على نهج الصلاح

"أصهاري".

إلى من قيد رقبتي بحبال فضله وجميل إحسانه، إلى من علمني حروفا من ذهب وكلمات من ذرر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العلم.

أستاذي: " عبد الحفيظ بوريو ".

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق نحو النجاح والإبداع، إلى من تكاتفنا يدا بيد ونحن نقطف زهرة تعلمنا، إلى صديقاتي وحبيباتي ونور عيوني:

نزيهة– عفاف– ياسمينة– نعيمة– حنان– هيام– لوبنة– مريم .

إلى الزهرات والفراشات اللواتي علموني معاني الحب والوفاء:

مونة– أسيا– خديجة.

إلى كل من قاسمتهم أياما من عمري، إلى كل من عرفني وبادلني الحب والاحترام إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

رزيقة

إهـــــداء

الى التي ايقضت في خاطري بدور الحب و الحنان ، والهمت في نفسي الشعور بالامل والامان ، الى صاحبة الحس المرهف المخملي و القلب الطاهر الغني ، الى بسمة الحياة وسر الوجود ، الى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي

أمـــي الحبيبة .

الى الدي غرس في قلبي حب الخير و زرع في نفسي مكارم الاخلاق ، الى سندي و أعز الناس في قلبي ، أحبه دون اكتفاء ، و أتمنى له دخول الجنة دخولا دون شقاء أو عناء ، و حياة ملئها السعادة والهناء

أبـي الغـــالي .

إلى الذين اعتز بأخوتهم و احاطوني باهتمامهم و نصائحهم الى الذين كانوا السند وعونا لي في الحياة إلى الاغالي اخواني . **خالد ،ابوبكر، أمينة**، و الكتكوتتين الصغيرتين ن**زهة و شيماء .**

الى اللواتي أفتخر بصدقاتهن و أحفظ ودهن و أراعي عهدهن ، أبقاهن الله زينة الاصدقاء : **رزيقة جويدة ، نورهان ، صارة ، عبلة ،احلام ، مريمة ، لبنى ، سهيلة ، ابتسام ، زينة ، رشيدة ، منى ، سمية .**

إلى اعز اخوالي : **عمار ، الطاهر ، قدور ، العربي ، عبد الحفيظ** وزوجاتهم و أولادهم كل باسمه .

إلى أغلى خالاتي : **طيوشة ،شمامة** ، وأولادهم كل باسمه .

إلى أروع عماتي : **مليكة ، غنية ، نعيمة ، حنيفة**، وأزواجهن و اولادهن كل باسمه .

إلى جميع من أعرفهم ، و الى كل من نسيهم قلمي و لم ينساهم قلبي .

عـــفاف

إلى منارة العلم والإمام المصطفى، إلى الأمين الذي علم العلم، إلى سيد الخلق إلى رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من يعجز فيها اللسان عن التعبير والقلم عن الكتابة، فلو مكثت العمر كله أجمع كلمات العالم لشكرك فلن يكفيني عمري ولا كلماتي، إليك أنت يا باعثة كياني وحافظة عهدي وإشراقة ضميري ومطية سهدي

"أمـــــــــــــــي الغالية".

إلى ذلك العظيم الذي طرز قلبي ومهجتي وحياتي بالمعاني النبيلة التي تنبض سحرا وبرهانا في الوجود، فتلقيت من نظرات عيونه دروسا علمني فيها معنى المروءة بعبارة الاثنين: العلم والأخلاق

" أبـــــــــــي العزيز".

إلى سندي وعضدي ومتكئي في هذه الحياة، إلى شموع حياتي ورفاق دربي الذين كانت قلوبهم معي في كل خطوة

"إخواني وأخواتي".

إلى من أرشدوني إلى طريق الفلاح وعلموني معنى الكفاح ودلوني على نهج الصلاح

"أصهاري".

إلى من قيد رقبتي بحبال فضله وجميل إحسانه، إلى من علمني حروفا من ذهب وكلمات من ذرر وعبارات أسمى وأجلى عبارات في العلم **" أستاذي".**

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق نحو النجاح والإبداع، إلى من تكاثفنا يدا بيد ونحن نقطف زهرة تعلمنا، إلى صديقاتي وحبيباتي ونور عيوني:

نزيهة– عفاف– ياسمينة– نعيمة– حنان– هيام– لوبنة– مريم .

إلى الزهرات والفراشات اللواتي علموني معاني الحب والوفاء: مونة– أسيا– خديجة.

إلى كل من قاسمتهم أياما من عمري، إلى كل من عرفني وبادلني الحب والاحترام إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

الفهـــــــرس

الصفحة

- مـــقدمة ________________ أ
مدخل 2

الفصل الأول

1. عصر الرافعي 29
أ. الحياة السياسية 29
ب.الحياة الاجتماعية 30
ج. الحياة الفكرية 32
2. ترجمة حياة مصطفى صادق الرافعي 35
3. ثقافته و علمه 36
4. الرافعي في بيته 37
5. حبه 38
6. تدينه 43
7. أقوال و أراء في الرافعي 45
8. محطات هامة في حياة الرفعي (1880–1937) 50
9. أهم الدراسات المتعلقة بأدب الرافعي 54
10. أثاره 56
أولا :المطبوعة 56
ثانيا : غير المطبوعة 57
أولا : المطبوعة 58
1 وحي القلم 58
2 تاريخ أداب العرب 59
3 اعجاز القران 60
4 حديث القمر 61
5 على السفود 62

6 كتاب المساكين 63
7 رسائل الاحزان 64
8 السحاب الاحمر 65
9 أوراق الورد 66
10 -ديوان الرافعي 68
11. وفاته 69

الفصل الثاني

تمهيد 71
1. الصراع بين القديم والجديد و موقف الرافعي منه 73
2. حرب الانحراف والتطاول على اللغة العربية 79
3. ماهية الادب والاديب عند العقاد و الرافعي 86
4. الشكل و المضمون عند الرافعي 89
5. فلسفة الشعر و صفات الشاعر عند الرفعي 93
6. رسائل الاحزان في فلسفة الحب والجمال بين النقد والرد 101
7. الخصائص الفنية للادب الرافعي 108
أ. الاصالة الاسلامية 108
ب.أصالة المعاني والالفاظ 109
ج. القوة في الحق 110
8. الرافعي واسلوبه الأدبي في تناول التاريخ الاسلامي 111
أ. الرافعي و السيرة النبوية 113
ب.حسن العرض و الاختيار 115
ج. القرأن الكريم سر النهضة الاسلامية 116
خـــــاتمة 118
قائمة المصادر والمراجع .
الفهرس.

الحمد لله حمدا كثيرا كما أمر ، هو الذي نشر بقدرته البشر، وصرف القدر بحكمته وقدر، وبعث محمدا (ص) إلى كافة أهل البدو والحضر، فأحل وحرم، وأباح وحضر وابتلاه في بداية النبوة بمداراة من كفر، فدخل دار الخيزران فاختفى واستتر، إلى أن أعز الله الإسلام بإسلام عمر، فصلوات الله عليه وعلى جميع أصحابه الميامين الغرر، وعلى تابعيهم بإحسان على السنة والأثر، ما هطلت الغمائم بتهتان المطر، وهدلت الحمائم على أفنان الشجر وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فقد مرت العرب بحقب زمنية متعاقبة، تخللتها وقائع متنوعة وتطورات متواصلة جعلت منها أرضا خصبة للحياة الأدبية،إذ يعد تراثها الأدبي العربي الإسلامي من أثراها على المستويين الزماني والمكاني، بل إن إسهاماته الحضارية حفظت عليه هويته وصانت ذاتيته وحمت قيمه ، وضمنت استمراريته في التجديد والإبداع، ووقت كيانه من الاستلاب والضياع، بل تأثيره تعدى إلى حضارات أخرى حيث غنم الأدب العالمي من الأدب الإسلامي الكثير على مر عصوره، والعصر الحديث من بين أثرى هذه العصور الأدبية وأغناها.

ونحن كغيرنا من الدارسين والباحثين في النقد الأدبي الإسلامي، جذبنا واسترعانا هذا العصر وما فيه، فأثار اهتمامنا كوكبة رفيعة من المفكرين والنقاد الذين تسنموا ذروة المجد الأدبي في العصر الحديث، أبرزهم:

محمد مندور– شوقي ضيف – عبد الرحمن شكري – عبد القادر المازني– عباس محمود العقاد– طه حسين – مصطفى صادق الرافعي– ، هذا الأخير الذي شق طريقه وسطهم ورسم لوحة توجهاته الخاصة به، فنجد أن الرافعي ترك لنا بصمات كثيرة على ملامح أدبنا العربي الذي شارك في تكوين أصوله وأسسه مما يعكس في المقام الأول عبقرية وأستاذية هذا الرجل، ولا عجب إذا رأيناه مجهولا أو مكروها، فذلك نصيب كل عبقرية فذة تبرق إلى الناس لوامع وجدانية أقوى مما يتحملون، وقد رأينا أنه من بين

الأسباب التي جعلت الرافعي مجهولا ومكروها، والتي أحدثت حسب ما نظن فجوة بين الناس وبينه: سيره على غرار الأقدمين، صعوبة أدبه، نقده اللاذع، تسخيره الأدب في سبيل الدين.

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع تأثرنا بهذا الكاتب الكبير ومحاولتنا التعريف به أكثر وإبراز قيمته وأهميته في الأدب العربي، شعورنا بابتعاد باحثينا اليوم عن مثل هذه المواضيع التي تمس جانبا من جوانب ديننا الحنيف، المساهمة في بناء الصرح العلمي وإثراء الدراسات الأدبية، بالإضافة إلى إعطاء صبغة جديدة من حيث المواضيع للبحوث الأكادمية لإغناء المكتبة الجامعية، كما أن ميلنا لهذا الموضوع كان بسبب تعطشنا له ورغبة منا في إشباع فضولنا.

وهذا ما جعلنا نبحر في إشكاليات عدة أهمها:

ما هي الإسهامات التي قدمها " الرافعي " للنقد الأدبي الإسلامي؟ وما موقف الرافعي من الصراعات الأدبية والفكرية التي واكبته ؟ وهل للرافعي الفضل في حفظ مقومات الأمة الإسلامية" اللغة العربية والدين الإسلامي"؟ وإلى أي مدى أثر فكر الرافعي في أدباء عصره؟

ولأن منهجية البحث تقتضي منا الولوج إلى هذا العالم وفق منهج محدد، فجاء هذا المنهج الوصفي التحليلي التاريخي ليتم هذه الدراسة.

وقد تمخض عن هذا المنهج خطة للبحث، ابتدأناها بمقدمة ثم مدخل تطرقنا فيه إلى تعريف كل من النقد والأدب وتطورهما التاريخي، كما تضمن أيضا التعريف بالنقد والأدب الإسلامي ومصادره، لنلج من خلال فصلنا الأول والمعنون بـــ " مصطفى صادق الرافعي نشأة وثقافة وإبداع" إلى التحدث عن عصر الرافعي بأبعاده الثلاثة: السياسية والاجتماعية والفكرية، كما تحدثنا عن مولد الرافعي ونشأته وذلك القسط القليل الذي ناله

من التعليم في المدرسة، ثم تطرقنا إلى الحديث عن حياته داخل أسرته مع زوجته وأولاده، وخارجها مع حبيباته، كما كانت لنا وقفة مع أشهر الأقوال والآراء فيه، وأشهر محطات حياته، بالإضافة إلى أشهر الدراسات المتعلقة بأدبه، كما كان لنا حديث عن آثاره، خاصة المطبوعة منها وأخيرا انتهينا إلى الحديث عن كيفية وفاته.

أما فصلنا الثاني والمعنون له بـــ " مصطفى صادق الرافعي وقضاياه الأدبية والنقدية"، فقد ابتدأناه بتمهيد ثم تناولنا قضية الصراع بين القديم والجديد وموقف الرافعي منه، ثم حرب الانحراف والتطاول على اللغة العربية ثم تطرقنا إلى ماهية الأدب والأديب عند العقاد والرافعي، وقضية الشكل والمضمون عنده ، ثم فلسفة الشعر وصفات الشاعر ثم جاء حديثنا عن كتابه " رسائل الأحزان" ونقد " طه حسين " له، كما تحدثنا عن الخصائص الفنية لأدب الرافعي،وأخيرا تطرقنا إلى الأسلوب الأدبي للرافعي في تناول التاريخ الإسلامي . وفي الأخير الخاتمة وهي خلاصة الأفكار والنتائج التي توصلنا إليها في موضوعنا، متبوعة بمجموعة من الفهارس التي تعين القارئ على الرجوع إلى المتن وقراءة العنوان الذي يريده.

وقد تطرق لموضوع بحثنا هذا دراسات سابقة نذكر منها: عز الدين بوبيش: مصطفى صادق الرافعي موضوعاته النثرية وخصائصه الفنية، نجاة محمد عبد الماجد: الجانب الديني في أدب الرافعي، كمال يوسف الحاج: مصطفى صادق الرافعي وأدبه.

غير أن هذه الدراسات لم تتناول دراسته من الزاوية التي حاولنا التطرق لها.

ومن أهم وأبرز الكتب التي اعتمدنا عليها وزبدة ما توفر لنا مجموعة من الكتب الأدبية والنقدية التي تناولت الموضوع منها:

مدخل إلى الأدب الإسلامي لنجيب الكيلاني، بحوث في الأدب العربي الحديث لمحمد مصطفى هدارة، مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا لمصطفى الشكعة

حديث الأربعاء لطه حسين، جماعة الديوان في النقد لمحمد مصايف، كما اعتمدنا على جملة من مصادر تعود للرافعي، كوحي القلم وتحت راية القرآن ورسائل الأحزان في فلسفة الحب والجمال، بالإضافة إلى اعتمادنا على معاجم عربية كلسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي، وغيرها من المعاجم اللغوية، كما استفدنا من بعض كتب أخرى لمعالجة هذا الموضوع.

ولا يخلو أي عمل جاد من مشاق وصعاب ولعل تغيير عنوان المذكرة شكل أكبر هاجس لنا، فقد سجلنا بحثنا في أول الأمر بعنوان " مصطفى صادق الرافعي والدعوات الهدامة في عصره" ، ليتغير فيما بعد فيكون استقرارنا على العنوان الجديد" التصور الإسلامي للنقد الأدبي عند الرافعي"، بالإضافة إلى طبيعة الموضوع نفسه، وتشعب مجالات البحث فيه، فلم ينقدنا إلا الإيجاز والتقدم في البحث بحذر.

ومع ذلك فقد تم هذا العمل بفضل العناية الفائقة التي أظهرها أستاذنا المشرف الذي كان لنا نعم الموجه والمرشد فلاقانا برعاية الآباء ومحبة الأصدقاء وتواضع العلماء مستحقا منا أسمى معاني التقدير والاحترام والوفاء مع تمنياتنا له بدوام الصحة والسعادة والهناء.

كما أنه لا يفوتنا أن نسال القارئ المعذرة مما قد يجد في صفحات هذه المذكرة من أخطاء أعجل الزمن عن تصحيحها أو خدعتنا النفس فيها عن سهوة أو أغفلتها العين في القراءة فإن ذلك مما لا يتهيأ تحرز من مثله في كل وقت.

وفي الأخير نأمل أن يكون موضوع البحث قد ألم بجل النقاط التي تتصل به لا كلها وحسبنا في الأخير أننا حاولنا، فإن قصرنا فضعف ساقه العجز إلينا، وإن قاربنا فذلك من فضل الله علينا، وهو اجتهاد يكفيه قول الرسول (ص): << من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد ولم يصب فله أجر الاجتهاد >> .

1 -عصر الرافعي:

تميز عصر الرافعي بظروف سياسية و اجتماعية وفكرية كثيرة ميزته عن بقية العصور الأخرى،نوجز القول فيها كالآتي:

أ -الحياة السياسية:

لقد كان عصر الرافعي تعجه مشاكل و تظاهرات ثورية آنذاك في مصر، فالحكم فيها كان فرديا يخضع لرغبة الحاكم،لا إرادة الشعب في اختيار حكومته،لهذا فعصره تميز بعدم الاستقرار والتوازن السياسي، وتعدد الثورات كان هدفها التخلص من نظام الحكم الفردي والقضاء على الهيمنة و الاستعمار من أجل استرجاع السيادة والكرامة الوطنية،فكانت الثورة العرابية في مصر بقيادة **أحمد عرابي** 1882 منعرجا حاسما في الحياة السياسية بالنسبة للمصريين، مما أوقدت الوعي السياسي لديهم ودافعت عن حقوقهم،و بدلت جهدها للوقوف في وجه السلطان الحاكم وفرضت وجودها أمام كل تيار مخالف لأهدافها <<و قد كانت هذه الثورة أول ثورة منظمة عرفتها مصر ضد سياسة الاستعمار و أعوانه،تشكلت فيها بوادر التحرر والانطلاق بروح عالية، وبلغت الروح الوطنية الوليدة على الساحة نضجها ونهضت ضد الضباط الأتراك والجراكسة الذين كانوا يحتلون الوظائف الكبرى في الجيش في عهد **الخديوي توفيق** عام **1882م** الذي استعان بالإنجليز ضدهم>> [1] . وبهذا فقد مهدت إنجلترا طريقها إلى مصر عن طريق جمع فرص كثيرة للإيقاع بها فعملت على إثقال كاهلها بالديون والتدخل في الشؤون الداخلية لها.

وبالرغم من هذا واصلت الثورة العرابية عطاءها إما جهرا في جرأة وعلانية، وإما خفاء، رغم كثرة المؤامرات التي حيكت ضدها والتي لم تضعف جهودها، بل زادتها

(1) عز الدين بوبيش:مصطفى صادق الرافعي موضوعاته النثرية و خصائصه الفنية،رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث،لم تنشر،جامعة قسنطينة،1408 ه/1987 م ص: 03.

عطاء و استمرارية في سيادتها،و بهذا تطورت الحركة السياسية في مصر، وبرز الحزب الوطني[1]بقيادة **مصطفى كامل**،الذي طالب بحقوق مصر وإكمال ما بدأ به **أحمد عرابي**

و بعد وفاته عام **1908م** جاء **محمد فريد** لقيادة الحركة، وانتخب رئيسا للحزب الوطني سنة **1907م**[2] الذي وجد صعوبة مع الاحتلال والحكومة المصرية التي كانت مع إنجلترا.

ومع بداية الحرب العالمية الأولى سنة **1914م** تحول الموقف السياسي في مصر عن طريق ضمها محمية من طرف إنجلترا بدل الدولة العثمانية [3]، وانتهت هذه الحماية سنة **1922م**، بعد عجزها عن إيقاف جريان الثورات بسبب ضعف قوتها وخروج الأمور عن سيطرتها.

غير أن السياسة البريطانية لم تقف مكتوفة الأيدي بل سطرت كل جهودها لإيقاف هذه الثورات بشتى الطرق وزعزعت وحدة الشعب مما أدى إلى ظهور أحزاب تعارضت فيما بينها فولدت نزاعات جعلت هذه الفترة أصعب من سابقتها، ومع عودة **سعد زغلول** من منفاه، هب الشعب المصري حوله، فقام بمفاوضات مع إنجلترا التي أتبعت سياسة عدوانية امتدت من عام **1922م** إلى **1936م** ، والتي أظفرت عن نتائج أبرزها:تشتيت أفكار جماعة الوفد المصري. [4]

و هكذا بقيت السياسة في مصر يسودها الضعف و الكساد بسبب طبيعة الحكم آنذاك.

---

(1) تأسس الحزب الوطني عام 1909، بزعامة مصطفى كامل،و كان من أهدافه إنشاء الدستور المصري و الجلاء التام للمستعمر.

(2) ينظر:عز الدين بوبيش،المرجع السابق،ص:04.

(3) دامت السياسة العثمانية في مصر حوالي أربعة قرون.

(4)الوفد المصري: هيئة شعبية تتكلم باسم الشعب المصري، غايتها مفاوضة إنجلترا على جلاء المستعمر برئاسة سعد زغلول، و منها انبثق حزب الوفد بعد عودة عناصره من المنفى.

ب -الحياة الاجتماعية:

إذا كانت الحياة السياسية دائمة الإضراب والتوتر وعدم الاستقرار فبطبيعة الحال سوف يكون لها تأثير سلبي على الحياة الاجتماعية، فالمجتمع المصري يتميز باختلاف القوميات والديانات(الإسلام–المسيحية...) الأمر الذي أدى إلى وجود انقسامات وتيارات مختلفة منها انقسامهم إلى طبقتين:الطبقة الأرستقراطية المتكونة من الطبقة الحاكمة ورجال الإقطاع،و هذه الطبقة هي المسيطرة على الموارد الاقتصادية للبلاد. وطبقة المعدمين: وهم الفلاحين والفقراء والذين يمثلون غالبية الشعب، وهذه الأخيرة – طبقة المعدمين– تحمل في فحواها كل مظاهر المعيشة المختلفة التي تتميز بالضعف والهشاشة والفقر و الحرمان،فالرجل المصري مرغم على العمل في تلك الظروف القاسية من أجل تلبية الاحتياجات المعيشية الخاصة به أو بأسرته إلا أن دخله الشهري لا يكفيه لذلك ولذلك انتشر الجوع و الفقر في أوساط المصريين آنذاك، يقول **سعيد العريان** متسائلا و مجيبا عن حالة العامل في ذلك الوقت: << كيف كان يعيش العامل المسكين في تلك الأيام؟ رباه إنني ما أزال أذكر يوم أرسلني والدي– و أنا غلام بعد– أستدعي النجار لعمل عندنا فوجدته جالسا في أهله يأكلون: كانوا ستة قد تحلقوا حول قصعة سوداء فيها كومة من فتات الخبز،إدامة الماء، تتسابق أيديهم إليه في نهم، كأنما يخشى كل واحد أن تعود يده إلى القصعة بعد الأوان فلا يجد لقمة ثانية >>[1]

هكذا كان يعيش المجتمع المصري خصوصا مع بداية الحرب العالمية الأولى، أين مر المجتمع بظروف سيئة مع انتشار الفقر والجوع و كذلك غلاء المعيشة أضف إلى ذلك أن خيرات مصر و مواردها إبان الاحتلال كانت مسخرة لخدمة الأجانب قبل كل شيء.

(1) محمد سعيد العريان:حياة الرافعي،المكتبة التجارية الكبرى، ط3، 1375ه-،1955م، ص:77.

أما المرأة فكانت ربة البيت تقوم بتربية أبنائها و خدمة زوجها و بيتها، محافظة على عاداتها و تقاليدها،لكن هذا ضايق الكثير ممن تأثروا بالغرب، الداعين على التمرد على القديم والانفتاح على الثقافات الأوروبية وممارسة المرأة حياتها خارج النطاق الذي رسمه لها دينها،متخلية بذلك عن مبادئها وقيمها،مستغنية عن حجابها الشرعي المفروض عليها وهذا ما دع ا إليه بعض الأدباء أمثال **قاسم أمين** في كتابيه" تحرير المرأة " و" المرأة الجديدة ".

وبالرغم من المجهودات الجبارة التي بدلها المعارضون لهذا التيار الغربي – المحافظون– و الداعين إلى الوقوف في وجهه متمسكين بمقوماتهم الدينية والأخلاقية إلا أنهم لم يستطيعوا السيطرة على الشباب المصري المتأثر بالثقافات الغربية والسالك لطريقها فأصبح يشاركها في جميع احتفالاتها مثل احتفالات رأس السنة الميلادية، وتقليدها في كل شيء من طريقة عيشها وكلامها وملبسها فشاعت بذلك مختلف الظواهر السلبية المنافية للمبادئ الإسلامية من حانات لشرب الخمر وملاهي ليلية وغيرها.

ج– الحياة الفكرية:

فإذا تحدثنا عن هذا الجانب نجد هناك الكثير من المؤثرات التي أثرت بشكل كبير في هذه الحياة و لعل أبرزها:المستعمر، الذي يهدف إلى تحطيم الفكر العربي عموما بسلخه من مقوماته الدينية وزرع ثقافة غير ثقافته، والمجتمع المصري خاصة تحت يد المستعمر الإنجليزي الذي سخر كل الوسائل المتاحة لنشر ثقافته فبرز التعليم الغربي، كما يقول الدكتور **ماهر فهمي:**

<< فجامعاتنا ومدارسنا تدرس الأدب الأوروبي واللغات الأوروبية وغير ذلك من المعارف التي ازدهرت في أوروبا الحديثة >>[1].

(1) عز الدين بوبيش:المرجع السابق،ص: 08.

بالإضافة إلى ذلك انتشرت الصحف الأجنبية، وهذا دليل على الغزو الفكري الذي أستهدف الثقافة المصرية، إلا أن هذا لا ينفي وجود جانب إيجابي وهو تزويد الثقافة المصرية بفكر جديد،و كذلك مساهمتها في ترقية أذواق المثقفين و لا ننسى الإشارة إلى وجود بعض البعثات العلمية إلى أوروبا والتي كانت تسعى من ورائها إلى نهل الثقافة الغربية والتزود من معانيها، والاندماج في حضارتها،فكان لهذا الاندماج دور كبير على الأدباء والمثقفين في مصر، مما أدى إلى انقسامهم إلى قسمين: قسم يدعو إلى التمسك بالقديم والآخر يدعو إلى إتباع الحياة الأوروبية، فنتج بذلك صراع بينهما نعت بالمعارك الأدبية، و نجد هذا في كتاب **سامح كريم**"طه حسين في معاركه الأدبية ".

ومع أن هذا الصراع يدور حول هذين التيارين غير أنه هناك اختلاف عند أصحاب التيار الواحد–التيار الغربي– فهو ينقسم بدوره إلى الثقافة الفرنسية و الثقافة الإنجليزية مما أدى إلى ظهور خلافات فكرية عبر عنها **مصطفى صادق الرافعي** الذي كان فكره وأدبه تيارا لوحده.

وهكذا بقيت المعركة قائمة بين ما هو قديم وما هو غربي جديد، والتي أظفرت عن نتائج أهمها:

وضع أنصار القديم لعقبات في وجه الحضارة الأوروبية، لكنها استطاعت أن تفرض نفسها لما لقيته من تأييد لدى الشباب،فدخلت علوم حديثة، والترجمة معظمها من الإنجليزية والفرنسية، فتراجعت بذلك اللغة العربية عند بعض المفكرين الذين أبهرتهم لغات الغرب معتبرين لغتهم– اللغة العربية– غير مواكبة لعصرهم يقول سلامة موسى في الحملة على اللغة العربية: << لنا من العرب ألفاظهم فإننا ورثنا عنهم اللغة العربية وهي

لغة بدوية لا تكاد تكفل الأدباء إذا تعرضت لحالة مدنية راقية كتلك التي نعيش بين ظهرانيها الآن>>. [1]

بالإضافة إلى هذا، نرى صراعا بين من ينادي باللغة الفصحى وبين من ينادي باللغة العامية، التي لقيت صدى كبيرا لدى المستعمر الذي رحب بالفكرة، ففرضت اللغة الإنجليزية على جميع المدارس على حساب اللغة العربية الفصحى.

كما أنه هناك أيضا من ينادي بفكرة مصر الفرعونية للتقليل من شأن مصر الإسلامية.

<< فالدكتور محمد حسين هيكل يسلك الطريق الأول، حيث ينشر مقالا عن إيزيس،يناقش فيه العقائد الفرعونية– وهي وثنية بداهة– ويقارن بينها وبين العقائد السماوية، محاولا جعل الفرعونية ذات أثر في الأديان السماوية مع جنوح بالسخرية بالدين بالغمز المقنع. >>[2]

كما سيطرت في هذا العصر في شتى المجالات الفنية والأدبية في مصر الدعوة إلى المصرية التي تعني الارتباط بالأرض المشتركة والدعوة إلى العصرية التي تعني التمسك بالحضارة الغربية ومحاولة النسج على منوالها،فـتأسيس الجامعة المصرية [3] كان لها الفضل الكبير في توعية الفكر المصري الذي جمده الاستعمار بأفكاره ومعتقداته، فالجامعة منارة المصريين من الناحية السياسية و الاجتماعية والفكرية، حطمت كل القيود والأغلال التي دسها المستعمر، مما أدى إلى انقسام أبناء الشعب الواحد إلى أحزاب وطوائف، هذا يناصر القديم والآخر يناصر الجديد، وبالرغم من هذا كله، وإن لم يحدث التوازي في

(1) مصطفى الشكعة: مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا، عالم الكتب ، بيروت، ط 3، 1403هـ 1983م، ص: 36.
(2) المرجع نفسه،ص:34.
(3) افتتحت الجامعة المصرية في 21 ديسمبر عام 1908م.

الحياة الاجتماعية بشكل كبير،إلا أنها ساهمت في رفع الأدب و الفكر المصري و ظهور أدباء و مؤلفات جديدة.

2 ترجمة حياة مصطفى صادق الرافعي:

مصطفى صادق الرافعي ابن الشيخ عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر واحد من أبناء أسرة الرافعي التي وفد قسم منها من طرابلس الشام إلى مصر في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، ويقال أن أول رافعي هاجر إلى مصر هو الشيخ محمد الطاهر الرافعي الذي وفد من لبنان عام **1827** ثم تبعه آخرون من أسرته التي اشتهرت بالعلم و التدين، وعمل أفراد منها في سلك القضاء الشرعي في المحاكم المصرية.

وكان من هؤلاء الشيخ عبد الرزاق بن سعيد والد مصطفى وبعض أعمامه كالشيخ عبد اللطيف الرافعي الذي ولى الإفتاء في الإسكندرية والذي أنجب أحد أعلام الصحافة والسياسة وهو أمين الرافعي،كما أنجب أحد أعلام المؤرخين وهو عبد الرحمان الرافعي.

ولد **مصطفى** في قرية بهتيم بمحافظة القليوبية بمصر في بيت جده لأمه في الفاتح من يناير عام **1880م**، وهناك من يرى أنه ولد في 30 أيار 1881م الموافق لـــ: الفاتح من رجب عام **1298 هـــ** لأبوين سوريين، وإن كان **خير الدين الزركلي** يقول في "الأعلام" إن لقب الأسرة– قبل أن يتحول إلى الرافعي– كان" البيساري" نسبة إلى قرية" بيسارة" بمحافظة أسيوط بصعيد مصر، وإذا صح ما ذكره **الزركلي** فإن الأسرة تكون مصرية الأصل،سورية الإقامة. حيث يتصل نسب الأسرة بعمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب– رضي الله عنهم– في نسب طويل من أهل الفصل والكرامة والفقه والدين [1] وقد وفد من آل الرافعي إلى مصر طائفة كبيرة اشتغلوا في القضاء على م ذهب الإمام الأعظم <<أبي حنيفة النعمان>> حتى آل الأمر إلى أن اجتمع منهم في وقت واحد أربعون

(1) محمد مصطفى هدارة: بحوث في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1994 ، ص: 327.

قاضيا في مختلف المحاكم المصرية، وأوشكت محاكم القضاء أن تكون حكرا عليهم، أما والد الرافعي فهو الشيخ عبد الرزاق سعيد الرافعي كبير القضاة الشرعيين في محافظات مصر، وأما أمه فهي أسماء ابنة الشيخ أحمد الطوخي الحلبي الذي كان يدير تجارته بين مصر والشام. [1]

3 ثقافته و علمه:

لهذه الأسرة المورقة الفروع ينتمي الرافعي، وفي فنائها درج، وعلى الثقافة السائدة لأسرة أهل العلم نشأ، فاستمع من أبيه أول ما استمع إلى تعاليم الدين، فما كاد يتم العاشرة من عمره حتى استظهر القرآن عليه حفظا و تجويدا، لم يدخل الرافعي المدرسة إلا بعد أن جاوز العاشرة بسنة أو سنتين، فقد درس سنة من الابتدائية في دمنهور،ثم نقل والده قاضيا في محكمة المنصورة فانتقل معه إلى مدرستها الأميرية ، وحصل على شهادة الابتدائية وسنه يومئذ سبع عشرة سنة،فكانت الشهادة الابتدائية هي كل ما حصل عليه الرافعي من شهادات المدارس النظامية،و ظلت هي الشهادة الرسمية الوحيدة في عمره كله و قد منعته من مواصلة دراسته إصابته بمرض التيفوئيد الذي أقعده أشهرا،و أصابه بحبسة في صوته وصمم في أذنيه ظل يثقل عليه حتى تحول إلى صمم تام، وانقطع به الرافعي عن دنيا الناس والأصوات مع تمامه الثلاثين من عمره، فكانت هذه العاهة زلزلة خير وبركة في حياته، فلزم الكتاب وانقطع للقراءة يقرأ تسع ساعات كل يوم، لا يتصل بالناس إلا من خلال القلم على أحسن ما يكون الاتصال، حتى ظهر نبوغه وأشرقت عبقريته، على أنه قبل هذا كله لازم أباه في صباه يأخذ عنه علوم العربية ويتفقه في اللغة وعلوم الدين والتفسير ويقرأ لعلماء الأمة، كما أنه جدّ في طلب العلم من المصادر المتوافرة أمامه:مجالس أبيه– لمكتبة أبيه– مكتبة المعهد الأحمدي– مكتبة الشيخ القصبي في طنطا مكتبة دار الكتب بالقاهرة، وكان لا يترك شيئا مما يطبع أو ينشر وتمتد إليه يده إلا درسه

(1) محمد موسى الوحش: موسوعة أعلام الشعر العربي، دار دجلة، عمان، 2008، ص ص: 231-232.

و قرأه، وكان يعينه بعض الشيوخ والمؤلفين وأصدقاء والده، وكان لا يتكلم إلا اللغة العربية الفصيحة مما أثار دهشة زملائه، وربما أثار حسدهم، وهكذا امتلأ الرافعي منذ طفولته بروح الإسلام و تشبع بفكره و آمن برسالته،فجعلها رسالته يهتدي بهداها،و يقتدي بأعلامها،و يتخذ من لغة القرآن حصنه الحصين يدافع عنها و يهاجم منها كل الذين أرادوا الطعن في كتاب الله من خلال الطعن في لغته[1].

4 الرافعي في بيته:

في عام **1904م** تزوج الرافعي من السيدة **نفيسة البرقوقي** أخت صديقه الشيخ **محمد عبد الرحمان البرقوقي** الأديب والكاتب المشهور صاحب مجلة " البيان"، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وقد كان **الرافعي** يعيش في بيته عيشة مثالية عالية، فهو زوج كما يجب أن يكون الزوج، وأب كما ينبغي أن يكون الأب، كان مهيب الجانب، أنيق الملبس، وقورا لا يتدنى، يظل في وقار العلم، وهيبة الفقه والأدب، يألف الوحدة ويحب التأمل والفكر، أما زوجته فكانت ن عم الزوجة تعينه وتشد من أزره، وهكذا فقد عاش **الرافعي** لزوجه وفي بيته وبين أولاده مثل الزوج والأب الذي يحترم حدوده، ويعطي لكل ذي حق حقه، وحسبنا أن نقرأ ما كتبه عنه تلميذه وصديقه الأستاذ **العريان** حين شهد بقوله:<<و أنا ما عرفت أبا و أولاده كما عرفت الرافعي،إذ يتصاغر لهم و يناغيهم و يدللهم و يبادلهم حبا بحب،ثم لا يمنعه هذا الحب من أن يكون لهم أبا فيما يكون على الآباء من واجب التهذيب و الرعاية و الإرشاد>> [2].

ولم يفرط الرافعي يوما في عقد الأسرة، وظل مرضيا لزوجه التي أعطت له كل حياتها وهيأت له في بيته كل ما يحتاجه رجل مفكر مثله. وما يقال عن علاقة **الرافعي** بالمرأة خارج محيط الأسرة فيه كثير من التجاوز للحقيقة ، وما يقال عن حبه لمعاصرته

(1) ينظر:نجاة محمد عبد الماجد العباسي:الجانب الديني في أدب الرافعي،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي،إشراف:محمد بنيه حجاب،1402هـ/1982م،ص ص: 52-51.
(2)ينظر:محمد أبو بكر حميد:شخصية الأديب المسلم في حياة الرافعي و رسالته ص: 05.

الأديبة الشامية المعروفة الآنسة **مي زيادة** فيه من الخيال أكثر مما فيه من الواقع، وقد صارح **الرافعي** زوجه بحقيقة أمره مع **مي** الذي لم يتجاوز الاستلهام، وكانت أعرف الناس بعفة زوجها و استقامته و عظيم إيمانه.

5 حـــــــبه:

لقد كان من أبرز نواحي حياة **مصطفى صادق الرافعي** الحب، والتأثر الشديد بالجمال والحسن، وقد كان له في ميدان الحب والجمال جولات واسعة، امتدت فترة غير قصيرة في حياته، والحديث فيها يطول،ولكننا نشير إلى بعض من ذلك الحب الذي فجر فيه مواهبه النثرية والشعرية، فقد كان له بذلك قصائد كثيرة عن الحب والجمال تزيد عن مئتي قصيدة في أربعة أبواب من ديوانه و في مقالات نشرت وكتب صدرت مثل: **أوراق الورد وحديث القمر**، وكانت له جولات من غدوات وروحات في معاني الحسن والجمال، ومراتع الحب الظامئ الذي يبدو أنه لم يرتو منها، فلجم الإسلام غرائزه حتى لا يهبط إلى ساحة الفجور، وهذا أثر هام للإسلام في حياته، و من ذلك قوله:

الحب سجدةُ عابدٍ * ما أرضَهُ إلا جبيْنَهُ

قلبي يُحِب و إنَّما * إيمانُه فِيه و دينُه [1]

لقد عاش لذعة الحب مع العصفورة التي رآها على جسر كفر الزيات[2]، فكتم اسمها وقال فيها قصيدته التي منها:

عصافيرُ يحسبنَ القلوبَ من الحبِّ * فمنْ لي بها عصفورةٌ لقطتْ قلبي

وطارتْ فلما خافتِ العينُ فوتها * أزالتْ لها حباً من اللؤلؤ الرطبِ [3]

---

(1) مصطفى الشكعة:المرجع السابق، ص: 26.

(2) تقع كفر الزيات غرب طنطا ب: 25 كلم طريق الإسكندرية.

(3) مصطفى صادق الرافعي: الديوان ، مطبعة الجامعة الأسكندرانية، ج1، 1321هـ ، ص: 128.

(و هذه أول قصيدة تغنيها أم كلثوم).

وامتد حبه إلى"هند" و"ماري" و"وهيبة" و "سونيا" وفي بحمدون في لبنان، وعلى ربوة هناك عرف "ليلى" ، وهذا الحب الذي أزهر على ربوة من روابي لبنان فوّح عبقا نديا في كتابه الفريد<< حديث القمر >> في عشرة فصول، وامتد حبه إلى"لبيبة هاشم" فتاة الشرق ثم مع الأديبة " مي زيادة " عاش حياة حب عفيفة. كان **الرافعي** يحب الحسن وينبهر به ويعشق الجمال ويتيه في إيحاءاته.

فلما دعي إلى حفل تكريم ملكة الجمال " كريمان" ورأى جمالها فتاه فيه، وانفلت منه الزمام و قال: <<إني راض عن سفور هذه بعينها لأنها أشبه بتسبيحة إلهية >>.

أعجب من أديب مرموق، عرف أنه من حفظة كتاب الله أصبح مستأمنا عليه، كيف يعلن أنه راض عن سفور فتنة تفتن الكثيرين؟، وكأنه نسي الآيات من سورة النور التي تأمر المرأة أن لا تبدي زينتها،و تأمر الرجل بأن يغض من بصره، قال تعالى"<< وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ>> [1]

فالله عز وجل يوصي المسلمين والمسلمات بعدم النظر إلى ما حرم النظر إليه وعدم فعل ما لا يحل لهم فعله، فإن ذلك خير لهم ليجازوا عليه خير جزاء، كما أنه حث المرأة على التستر أمام الأجانب، وأن لا تبدي إلا وجهها وكفيها مخافة الفتنة.

(1) سورة النور، الآيتان: 30-31.

فالعجب و الغريب كيف يدعى الرافعي الذي كتب << تحت راية القرآن >> إلى الاحتفال بملكات الجمال،و كيف يجيب الدعوة ؟!

لكن هذه القصة وهذه التساؤلات تكشف لنا صورة من صور الواقع، وامتداد فتنة الغزو الغربي ونجاحه في بعض الميادين وإطلاق حرية المرأة، وتغيير كثير من العادات،ذلك كله كان يفترض أن يكون **الرافعي** ممن قاوم هذا التغيير، وقد اعتبره بعضهم " الأديب الإمام ".

وقال يصف راقصة رآها وقد تأودت حتى لم تر الأعين إلا سواد شعرها على أعطافها، ثم لم يزل قدّها بعد ذلك يتقوس حتى لاح للناظرين بدر وجهها، فقال:

مالتْ دلالاً فارتمى شعرها * كالليلةِ الظلماءِ أو شبهها

فلم نزلْ نرقبُ بدرَ الدجى * حتى تجلى البدرُ من وجهها (1)

وقال أبيات في "هيفاء" تمشي على الحبل في " تياترو":

طلعتْ والظلامُ يحسدهُ الصبحُ فخل * نا في الأرضِ شمسَ السماءِ

ورأتْ أكبدَ الورى في ثـــــراها * فمشتْ من دلالها في الهواءِ (2)

وهكذا نجد أن صرخات الغرام في حياة **الرافعي** واسعة وأن ميادينها متعددة، فإن كان هناك غرام عفيف في ربوة من ربى لبنان،فما الذي حمله ليرى الراقصة ويدخل " ثياترو" ؟!

كما أنه رأى راقصات فأعجبه ما رأى فقال بديها:

---

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق،ص: 128.
(2) المرجع نفسه،ص127.

يا شموساً طلعتْ في الغلسِ * ما عليكنَّ مـــــن المختلسِ

درنَ فـــي أفلاكـكنَّ دورةً * تكشفُ الريبَ عـــن الملتبسِ

وتـرفَّقْنَ بـــصبٍّ مُدْنـــفٍ * يـــتلظى قلبـهُ كالقبـــسِ

ظنّـــَهُ عاذلـــُهُ ذا جُنّـــةٍ * أدكرتْ من أمرِ قيسٍ ما نسي

وإذا ظنُّوا الـــغرامَ مـــوساً * فأنا ربُّ الهوى والـهـــوسِ

قد شجتني أنـــــةُ العودِ فلمْ * يبقَ مني غيرُ رجـــعُ النفسِ

أتـــرى أيـــديهم تلمسهُ * أم ترى يعشقُ ذاتَ الـــملسِ (1)

فيا ترى كيف كانت حياته الاجتماعية و مدى انضباطها بالقرآن الذي حفظه والفقه الذي حمله.

لقد هب الحب على قلب **الرافعي** مثله مثل كل إنسان ولكنه لم يترك هذا الحب يعصف بحياته فسرعان ما حوله إلى نسيم يستوحي منه أرق وأجمل مؤلفاته لغة وأسلوبا ومعنى، فليس **الرافعي** الذي يسلم قياده لهواه.

هكذا كان الحب طائفا روحانيا في حياة **الرافعي**، بعيدا عن شهوات الجسد وأوحى إليه بأعظم ما خطه براع في فلسفة الحب والجمال في أدبنا الحديث، كان أولها<< حديث القمر>> كتبه سنة **1912**م عقب زيارة قام بها لوطنه الأصلي لبنان ومن وحي لقائه بالأديبة "مي زيادة"، ثم تبعه بثلاثة كتب أخرى على شكل رسائل حب خيالية هي<< رسائل الأحزان>> و<<السحاب الأحمر>> سنة**1924**م، ثم تبعهما ب<<أوراق الورد>>سنة**1931**م.

و من أشهر أقوال **مصطفى صادق الرافعي** في الحب:

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق، ص ص:127- 128.

<<من سحر الحب أن ترى وجه من تحب وهو الوجه الذي تضحك به الدنيا وتعبس أيضا >> .

ليس **الرافعي** وحده من ألهمته **مي زيادة** بل ألهمت الكثيرين ممن عاصروها، ومن أشهرهم **عباس محمود العقاد** الذي قال فيها:

حياك يا مي ما غنى و ما عبقا * و فاض حولك بشرا كل ما شرقا

و عاد صفوك هالات محصنة * من رحمة الله تنفي شر ما خلقا

بالرغم منا الأسى يمشي على حرم * يجلو الأسى عن مريديه إذا طرقا

و عبرة تتراءى في تجملها * كالنور مؤتلقا لا النور محترقا

و في الصدور التي تهفو القلوب بها * قلب يناجيك ما إستحيا له رمقا

يحيا على النور من عينيك مقتبسا * و من ومضه فرحا أو غمضه شفقا

أتعلمين به؟بل أنت عالمة * بالود في هذه الدنيا إذا صدقا

طوبى له-ألف طوبى !- إن وثقت به * فإنه بك دون الناس قد وثقا [1]

(1) محمد محمود حمدان: من رسائل العقاد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1997م، ص: 224.

6 -تدينه:

عندما نتحدث عن الرافعي و عن قصص الحب التي عاشها مع "مي زيادة" وغيرها ممن أشغفنه حبا، فهذا لا يعني بالضرورة أنه إنسان غير متدين وغير أخلاقي، بل العكس تماما، فمثلما هام حبا بمي، هام بالقرآن حبا كذلك، ومثلما كان شديد الولع بالراقصات فإن ولوعه بالإسلام كان أشد من ذلك. فقد كان الرافعي أديب الفكرة الإسلامية دون منازع، في فترة زمنية كان النيل من العقيدة دربا يستهوي كثيرا من أدباء العصر فكان هو وحده في طرف- إلا نادرا- و جل الأدباء في الطرف الآخر، فنجد أنه عاش حياته ممجدا للفكرة الصالحة الخيرة، محاربا للفكرة المنحرفة الشريرة، غير مبالي لما سيلحق به من جراء ذلك، رغم معرفته و إيقانه حق اليقين بأنه هناك من يريد تشويه صورته أمام محبيه الذين يرون فيه الرجل المثالي، والكاتب المخلص، والشاعر الفذ، والأديب المرموق، ويعود هذا إلى حكم نشأته الإسلامية وتربيته الأخلاقية وثقافته وقناعته الدينية،فقد كان القرآن الكريم دستوره، والسنة النبوية منهاجه، وسير الصحابة والصالحين قدوته، وهكذا صار ذا ثقافة عربية إسلامية محضة، ومن هذه الثقافة تكاملت شخصية الرافعي الأديب الكاتب صاحب القلم المرهف الذي كان بلسما للمخلصين من قراء العربية ومنشئيها وسما قاتلا على أعدائها والكائدين لها. فأفنى حياته في سبيل خدمة الدين الإسلامي و اللغة العربية التي تمثل لغة القرآن الكريم [1] ، وقد كان مترفعا عن نفسه عن صغائر الأمور و ترهاتها، سام بها إلى أعلى القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة التي تمثل بالنسبة له القيد الذي يرضيه و يفتخر به حيث يقول في هذا الصدد:

يا نفسُ ويحك أرضي الجدّ منك فتىً * مــاضي العزيمة وثاب فمقتحِمُ

لا تــعرضي لي لــذات الهوى أبداً * مــا للهوى في لساني لا و لا نعم

ما لـــنتي أنا إلّا أن أكــون فتىً * كما يرفرف في أعلى الذُّرى علمُ

(1) ينظر:مصطفى الشكعة:المرجع السابق،ص ص: 60-62.

أنـــا المُقيّد في نفسي وفي خُلقي * كأنني قيـــدُ حرٍّ قيّده القسمُ

شتّان بين امرئ في نفســـه حرمٌ * قدسٌ وبين امرئ في نفسه صنمُ (1)

كما يتجلى لنا كذلك تدينه في حبه للرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام وافتخاره بنسبته إلى أمير المؤمنين **عمر ابن الخطاب** رضي الله عنه ، ونلمح هذا عندنا نقرأ أبياتا من شعره يرثي فيها والده فيذكر **عمر** في مرثيته فيقول فيها:

تروعك منه هيبة " عُمرية " * وحسبك من أمسى له عمرٌ جدا

فجاء كحد السيف يهتز مصلتاً * يد الله منه وحدها سنت الحدّا

كما إعتصرته أنفس عربية * رمـــاحا و أسيافا و ألسنة لـدّا

و من كان في التاريخ لحد جدوده * تجده من التاريخ قد ورد المهدا(2)

كما كان للإسلام آثار أخرى عليه برزت في بعض مؤلفاته مثل: " تحت راية القرآن" و" بين القديم و الجديد" و" إعجاز القرآن و البلاغة النبوية"، فقد وصفه أحد الصحفيين بقوله:<< إنه المختار لحراسة لغة القرآن>> .

لم يتقن الرافعي اللغة الأجنبية إلا القليل من الفرنسية لذلك ظلت ثقافته عربية صرفة دون أن يفسدها دخيل،مما ساعده على البقاء نسخة أصلية ناصعة لا يعلوها غبار ثقافة غربية ولا تشوبها شائبة. وقد افتتن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وهام به حبا وإجلاء وولاء، فكان قدوته التي يقتدي بها، ومرشده الذي يدله على الطريق الصحيح ولذلك كان يحاول إتباع ما يأمر به و الابتعاد عما ينهي عنه، فكان هو الآخر يوصي أصحابه وأقرانه بإتباع الطريق السديد والعمل بالأمر الرشيد، فكان يوصيهم بوصايا عديدة من بينها الزواج من المرأة التي تتحلى بالخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة فيقول:

(1) مصطفى الشكعة:المرجع السابق.ص : 27 .
(2) المرجع نفسه،ص: 28.

رأيتُ نساءَ الزمانِ كثاراً * وحسبكَ واحدةٌ في الزمانْ

فإن رمتها فالتمسْ وصفها * فقد ميزتْ بصفاتٍ ثمانْ

بوجهِ الجمالِ ورأسِ الذكاءِ * وعينِ العفافِ وصدق اللسانْ

وقلبِ الحبِّ وصدرِ الصبورِ * ونفسِ الكمالِ ودمِّ الحنـانْ

وتلكَ هي السعدُ من نالها * فقد صارَ من بيتهِ في الجنانْ

ومن لم يكنْ حسنُها هكذا * فسخريةٌ عدُّها في الحسانْ [1]

7 أقوال و آراء في الرافعي:

لقد كان **لمصطفى صادق الرافعي** منزلة عظيمة بين أقرانه، ومن عاصروه في ذلك الوقت،فقد كان محترما و محبوبا من طرف الجميع، لأنه ترك في نفس كل واحد منهم أثرا واضحا وجليا، ويتجلى لنا ذلك من خلال ما نلمسه وما نقرأه في كتب ودواوين الكتاب و الشعراء عن الرافعي فنجد أنه لم تخل معظم كتاباتهم عن ذكره أو الإشارة إليه و لو بملمح بسيط ، فقد قال عنه محمد عبده: << ولدنا الأديب الفاضل مصطفى أفندي صادق الرافعي،زاده الله أدبا لله ما أثمر أدبك، ولله ما ضمن لك قلبك، لا أقارضك ثناء بثناء،فليس ذلك شأن الآباء مع الأبناء، ولكني أعدك من خلص الأولياء، وأقدم صفك على صف الأقرباء، وأسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفا يمحق الباطل، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل، والسلام>>[2] وقال فيه الزعيم **مصطفى كامل باشا** : << سيأتي يوم إذا ذكر فيه الرافعي قال الناس: هو الحكمة العالية مصوغة في أجمل قالب من البيان >>[3].

(1) مصطفى صادق،الرافعي:المرجع السابق،ص: 48.
(2) مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم،دار المعارف، القاهرة، مصر،الجزء1، ص:09.
(3) مصطفى صادق الرافعي:على السفور نظرات في ديوان العقاد، ص: 13.

وقال واصفا إياه **محمد رشيد رضا** منشئ مجلة " المنار":<< الأديب الأروع والشاعر الناثر المبدع، صاحب الذوق الرقيق والفهم الدقيق، الغواص على جواهر المعاني، الضارب على أوتار مثالثها والمثاني>>.

وقال عنه الأديب **عباس محمود العقاد** بعد وفاة الرافعي بثلاث سنين: << إن للرافعي أسلوبا جزلا، وإن له من بلاغة الإنشاء ما يسلكه في الطبقة الأولى من كتاب العربية المنشئين>>.

وقد قال كذلك- **عباس محمود العقاد** - قبل أن تدور رحى الحرب بينهما ببضع عشرة سنة:<< إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثله لكاتب من كتاب العربية في صدر أيامها>>[1].

وخط **شكيب أرسلان** كلمة رائعة عنونها بـــ:"ما وراء الأكنة" صدرها بقوله عن الرافعي:<< حضرة الأستاذ العبقري، نابغة الأدب،وحجة العرب>>.

أما أحمد محمد شاكر فقد قال: <<إمام الكتاب في هذا العصر، وحجة العرب>>.

هذه كانت معظم آراء أدباء ذلك العصر، أما بالنسبة لشعرائه فقد تنوعت واختلفت كذلك آراؤهم حوله بين مدح وثناء وتعظيم.

لهذا فقد قال لسان العرب، وتاج الأدب، والقاموس المحيط، صاحب السعادة، **محمود سامي باشا البارودي:**

طلب الفصيح من الكلام فنـــاله * بعزيمة تدعو الحزون سهولا

هو<<صادق>> فيما علمنا كاسمه * و كفى بذلك في الوفاء كفيلا

(1) مصطفى الكشعة:المرجع السابق، ص: 58.

فليبق مـــــــحسود البيان ممتعا * بالفضل حتى يبلغ المأمولا [1]

كما أنه قال في قصيدة أخرى:

لمصطفى صادق في الشعر منزلة * أمسى يعاديه فيها من يصافيه

حـــــاز الكمال فلم يحتج لمنقبة * فلست تنعته إلا بـــما فيه [2]

وأما فخر الدولتين السيف والبراع، والمنفرد بين الشعراء بالإبداع وسلامة الاختراع طائر مصر المحكي وشاعرها، حضرة صديقنا الحميم **محمد حافظ أفندي إبراهيم:**

إيه يا رافعي أحسنت حتى * لا أرى محسنًا بجنبك شيّا

أنت والله كاتب بـــدوي * إن عددناك شاعرًا بدويا [3]

كما أنه يقول في موضع آخر:

أَراكَ وَأَنتَ نَبتُ اليَومِ تَمشي * بِشِعرِكَ فَوقَ هامِ الأَوَّلينا

وَأوتيتَ النُبُوَّةَ في المَعاني * وَمـــــا دانَيتَ حَدَّ الأَربَعينا

فزن تاج الرآسة بعد سامي * كما زانت فرائده الجبينا

وهذا الصولجان فكن حريصا * على ملك القريض و كن أمينا

فحسبك أن مطريك ابن هاني * وأنك قد غدوت له قرينا [4]

أما بخصوص نجم الآفاق، وجوهرة العراق، مالك رقاب القوافي الأستاذ أبو المكارم، الشيخ **عبد المحسن الكاظمي** نزيل مصر، وواحد العصر، وقد فرغ حفظه الله

(1) مصطفى صادق الرافعي:الديوان، ص: 13.
(2) مصطفى صادق الرافعي:على السفور نظرات في ديوان العقاد،ص: 12.
(3) المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
(4) ديوان حافظ إبراهيم:حافظ إبراهيم،دار صادر،بيروت،لبنان،ج1،ط2،1427هـ ، 2006م،ص:113.

من سحر براعته لساعته،فجاء بديعة البدائه، ونديرة البدائع، حيث قال في شعر **مصطفى صادق الرافعي:**

شعرك يا "مصطفى" لصافية * بحوره كل وردها عذب

إن تنتخب من سواك قافية * فذي قوافيك كلها نخب (1)

أما أحمد الزين أحد شعراء العصر في مصر فقد قال:

تضيع معاني الرافعي بلفظه * فلا تبصر المعنى:وهيهات تبصر

معانيه كالحسناء تأبى تبدلا * لذاك تراها بالحجاب تـــــخدر (2)

ثم يواصل حديثه في تشبيه أخيه بالرافعي فيقول:

وإن أخي كالرافعي و إنما * مـــــعانيه منها ما يجل و يكبر

فمعناه مثل البدر خلف سحابة * سوى لمعة كالبرق تبدو فتبهر (3)

وقال الشاعر المتفنن والأديب الشهير مصطفى لطفي المنفلوطي:

يا ناظما سحر البيان الذي * يعي به الشاعر و الساحر

أحييت مجد الشعر في أمة * بات عفاء مجدها الغابر

ينطق فيها شعرها مثلما * ينطق فيها الطلل الدائر

فكان كالذابل من روضة * وأنت منه الصيب الماطر

تنظم ما يعجز عن نظمه * في النيرات الفلك الدائر

---

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق،ص: 12.
(2) المرجع نفسه،ص: 220.
(3) المرجع نفسه،ص نفسها.

و تودع الحكمة فيه كما * ضم سواد الناظر الناظر

و الشعر كل الشعر في حكمة * يوحي بها للأنفس الخاطر

و الشعر إن لم يك من "صادق" * فيه فلا شعر و لا شاعر [1]

كما أن **محمد محمود الرافعي** قال أبياتا شعرية في **مدح مصطفى صادق** الرافعي يقول فيها:

هيهات أن يبلغ الأقوام مبلغه * أو يدركوا شأوه في حلبة الأدب

و يا سمير العلا لازلت في جذل * و الكاشحون مدى الأيام في تعب

لو قارنوا بك أقواما عهدتهم * تبينوا الفرق بين الترب و الشهب [2]

أما الشيخ **حسين المهدي** فقال فيه:

رأيناه رأيناه * بلؤلئه و لألاه

قريضا لم يحل * بمسمع إلا و حلاه

جمعت به من الآيات * ما أوحى به الله

فلو شعراؤنا سمعوه * قبل اليوم ما فاهوا

و ما أجزل مبناه * و ما أفحل معناه

أساليب"أبي الطيب" * "والرافعي"أشباه

و لكن ذاك كذب * فخاب لذاك مسعاه

(1) مصطفى صادق الرافعي:الديوان،ص ص:150-151.
(2) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق،ص ص: 151،152.

و هذا"صادق و الص * دق أصل في مسماه

بمن كنا عرفنا السحر * في الأشعار لولاه

عريقا في الخلال الغر * تنميه سجاياه

فكل الناس من أخ * لاقه الحسنا أحباه

تنبأ بالقريض و لو * دعانا لأجبناه

فذا الديوان معجزة * تؤيد صدق دعواه[1]

8 -محطات هامة في حياة الرافعي(1880-1937):

1880: في شهر يناير ولد مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، وكان مولده في بيت جده لأمه الشيخ الطو خي في قرية" بهتيم" إحدى قرى محافظة القليوبية بمصر.

1897:حصل مصطفى صادق على الشهادة الابتدائية من مدرسة المنصورة الابتدائية الأميرية، وهي كل ما ناله من الشهادات فقد أصابه في نفس العام مرض ترك وقرا في أدنيه، وحبسة في صوته، فلم يستطع مواصلة الدراسة، ولكنه أكب على الإطلاع بنهم في مكتبة والده، وكان هو الأستاذ والتلميذ.

1899:عين كاتبا بمحكمة طلخا الشرعية، وكانت إقامته في مدينة طنطا، فمنها مغداه وإليها مراحه،ثم نقل إلى محكمة إيتاي البارود،ثم إلى طنطا، وظل فيها حتى يومه الأخير.

(1) مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق،ص: 152.

1903:أصدر الجزء الأول من ديوانه،و صدّره بمقدمة ناقش فيها مفهوم الشعر و أولياته،و فنونه، ومذاهبه.

1904:تزوج بشقيقة الأستاذ عبد الرحمان البرقوقي،صاحب مجلة البيان، وكانت صلة الأدب بين الرجلين بسبب هذا الزواج، وقد أنجب الرافعي من زوجته هذه أحد عشر مولودا،إفترط منهم واحدة في سنتها الأولى، وخلف عشرة،أكبرهم"محمود سامي" وبه كان يكنى" أبو الشامي".

1904: أصدر الجزء الثاني من ديوانه.

1905: أنشأ قصة عنوانها" الدرس الأول في علبة الكبريت " ودخل بها مسابقة أدبية، أثارتها مجلة المقتطف بين الأدباء، وأعاد نشرها بعد ذلك بعنوان" السطر الأخير من القصة ".

1905:نشرت له مجلة " الثريا " في عدد " يناير" أول مقال في النقد الأدبي عن شعراء العصر،وقعه بالرمز حذر التهمة،إذ جعل فيه الشعراء ثلاث طبقات ووضع اسمه في الطبقة الأولى مع **الكاظمي** و**البارودي** و **حافظ**،في حين جعل شوقي من شعراء الطبقة الثانية مع **إسماعيل صبري** و**خليل مطران** ،و **شكيب أرسلان** وغيرهم،أما شعراء الطبقة الثالثة فمنهم المنفلوطي وأحمد محرم و لكنه لم يثبت على هذا الرأي فقد عدل عنه فيما كتبه بعد ذلك بتوقيعه الصريح.

1906:أصدر الجزء الثالث من ديوانه.

1908:أصدر الجزء الأول من ديوانه الجديد بعنوان"النظرات"، فقد كان معنيا بالشعر يرجو أن يبلغ فيه مكانة سامية يخلد بها اسمه بين شعراء العربية. [1]

(1) عبد القادر القط:مصطفى صادق الرافعي،رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب،السحاب الأحمر،أوراق الورد رسائلها و رسائله، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر،ط1، 1994م، ص: 28.

1909: في منتصف هذا العام انقطع لتأليف الجزء الأول من كتابه " تاريخ آداب العرب"، وفرغ منه نهاية عام1910، وكان تأليفه استجابة لدعوة الجامعة المصرية << جامعة القاهرة >>.

إلى تأليف كتاب في تاريخ الأدب العربي، رصدت له مكافأة مادية مقدارها **خمسمائة جنيه مصري**، وكان كتاب الرافعي ثاني كتاب قدم إلى الجامعة، فقد سبقه جورجي زيدان بالجزء الأول من كتابه" تاريخ آداب اللغة العربية ".

1911: أصدر الجزء الأول من كتابه" تاريخ آداب العرب ".

1912: أصدر الجزء الثاني من كتابه" تاريخ آداب العرب "، تناول فيه البلاغة القرآنية و البلاغة النبوية، ويعرفه القراء بعنوان "إعجاز القرآن" .

1912: أصدر كتابه "حديث القمر" إثر عودته من رحلته إلى لبنان،إلتقى فيها شاعرة من شواعرها و كان بينهما شيء من الحب،فلما عاد إلى مصر وجد في نفسه حاجة إلى أن يقول،فقال: "حديث القمر"،و هو أول كتاب يصدره الرافعي في أدب الإنشاء.

1917: أصدر كتاب "المآسي" متأثرا بمآسي الحرب العالمية الأولى.و هو الكتاب الرابع في المنثور،و الثاني في أدب الإنشاء أراد به الرافعي– كما يقول– بيان من حكمة الله في أغلاط الناس.

1923: وقعت قطيعة بينه و بين الأديبة "مي زيادة" فآذت نفسه إيذاء منكرا و أرهقت خاطره إرهاقا بالغا. (1)

1924: أصدر كتاب "**رسائل الأحزان**" ، بعد أن ثابت إليه نفسه أو شيئا من نفسه بعد القطيعة، وقد بدأ كتابتهفي شهر يناير و فرغ منه مساء السابع من شهر فبراير، وهو

(1) عبد القادر القط:المرجع السابق،ص: 28.

عبارة عن رسائله إلى صديقه الذي خصه بسره، ولعله يعني نفسه، يشكو إليه لوعة العاشق.

1924: وقعت الواقعة بينه و بين الدكتور **طه حسين** إثر نقد الدكتور لكتاب "رسائل الأحزان" في مجلة السياسة الأسبوعية.

1925: نشرت مجلة "المقتطف" في عدد ديسمبر القصة الثانية **للرافعي** وعنوانها "عاصفة القدر".

1926: إشتدت المعركة النقدية بينه و بين **طه حسين** إثر إصدار هذا الأخير لكتابه "**في الشعر الجاهلي**" ونقد **الرافعي** له،و ثورته عليه.

1926: تقدم إلى ناظر الخاصة الملكية آنذاك **محمد نجيب باشا** ليكون شاعر الملك،فلقي ذلك العطف الكريم بحقه من الشكر،و ظل يرسل قصائده في مدح الملك سنة1930.

1930:أقصي عن القصر الملكي،و تبوأ مكانه **عبد الله عفيفي** فأخذ **الرافعي** ينقد شعره نقدا مرا ثم استعار أوار هذه المعركة النقدية في مجال الشعر مع العقاد وكانت حصيلتها كتابه "على السفود" الذي نشر أول مرة على أنه من تأليف إمام أئمة الأدب العربي.

1932: تهيأت مجلة "المقتطف" لكتابة فصل عن **أحمد شوقي** بعد وفاته، وعهدت بذلك إلى **الرافعي** فأنصف شوقي وجل عبقريته،و كشف مذهبه وفنه، و لكنه أخذ عليه بعض هنات نحوية، فانبرى **العقاد** يرد على الرافعي مأخذه،و يباهي بشوقي و عمله اللغوي و فنه العبقري،و رد عليه الرافعي مفندا. [1]

(1) عبد القادر القط :المرجع السابق،ص:29.

1933: أصدر **العقاد** ديوانه "وحي الأربعين" فنقده الرافعي في مجلة " البلاغ " نقدا لاذعا،امتزجت فيه ثورة نفسه،و حدة طبعه،و حرارة غضبه، وروعة فنه، وهذه المقالة– كما يقول محمد سعيد العريان–خير ما كتب الرافعي في نقد الشعر وأقر بها إلى المثال الصحيح،لولا هفوات قليلة يعفيه من تبعتها أنه إنسان.

1934: أنشأ قصته الثالثة "سعيد بن المسيب".

1934: دعته مجلة الرسالة–التي كان يصدرها أحمد حسن الزيات– ليكتب فصلا عن الهجرة النبوية في عددها الممتاز،فكان مقاله "وحي الهجرة في نفسي" و نشر في العدد الثاني و الستين،و ظل حبله متصلا بها حتى وفاته.

1937: في العاشر من شهر مايو لبى نداء ربه وحمل جثمانه إلى حيث رقد رقدته الأبدية في جوار أبويه بمقبرة **الرافعي** بطنطا،فأصبح ميراثا نتوارثه، وأدبا نتدارسه وحنانا نأوي إليه.[1]

9 -أهم الدراسات المتعلقة بأدب الرافعي:

1/ أنور الجندي: المعارك الأدبية في الشعر، النثر، الثقافة، اللغة العربية والقومية العربية، الحضارة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1962م.

2/ خير الدين الزركلي: الأعلام، الطبعة السابعة، بيروت، 1954م.

3/ سعد مصلوح:الأسلوب،دراسة لغوية إحصائية،بيروت،دار البحوث العلمية 1980م.

4/ طه حسين: حديث الأربعاء، الجزء الثالث، القاهرة، دار المعارف.

(1)عبد القادر القط: المرجع السابق، ص:29.

5/ عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، مكتبة الشباب، 1988م.

6/ **عمر رضا كحالة:** معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي، 1960م.

7/ كمال نشأت: مصطفى صادق الرافعي، القاهرة، دار الكاتب العربي، 1968م.

8/ محمد سعيد العريان: حياة الرافعي، القاهرة، مطبعة الاستقامة، 1955م.

9/ **محمد عبد المطلب:** البلاغة والأسلوبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984م.

10/ **محمود أبو رية:** من رسائل الرافعي،القاهرة،دار المعارف،1969م.

11/ **مصطفى الشكعة:** مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا و مفكرا إسلاميا بيروت، جامعة بيروت العربية،1970م.

12/ **نعمات أحمد فؤاد:** دراسات في أدب الرافعي، القاهرة، دار العربي، 1953م.

و من الرسائل الجامعية التي تناولت أدبه بالدراسة:

1/ **أمين سعيد المبروك بن مسعود** : نثر مصطفى صادق الرافعي، ماجستير،كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1962م.

2/ **حسن عبد القادر عبد الدايم** : أثر القرآن في أدب الرافعي، ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1969م.

3/ طه عبد الرحيم عبد البر: مصطفى صادق الرافعي الناقد الأديب، ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1967م[1].

(1) عبد القادر القط:المرجع السابق،ص ص:32-33.

10 -آثاره:

مصطفى صادق الرافعي علم في أدب اللغة العربية ودراساتها نال ألقابا متعددة على إنتاجه الفكري و الأدبي،فهناك من أطلق عليه "أديب العربية" ،و هناك من سماه "الأديب الإمام"،و من سماه "شاعر الشرق" على قصيدته في اللغة العربية،و نال لقب "البيك" على نشيد اسلمي يا مصر.

و قد انقسمت آثاره إلى قسمين: مطبوعة وغير مطبوعة.

أولا: المطبوعة:

* ديوان الرافعي: وهو ثلاثة أجزاء، صدرت بين سنتي 1903م- 1906م، وهي مذيلة بشرح ينسب إلى أخيه **محمد كامل الرافعي** و لكنه من إنشاء الرافعي نفسه.

* ديوان النظرات: أصدر منه الجزء الأول عام 1908.

* ملكة الإنشاء: و هو كتاب مدرسي يحتوي على نماذج أدبية من إنشائه، وقد نشر بعضا منه في ديوان النظرات، وضاع باقيه.

* تاريخ آداب العرب.

* إعجاز القرآن.

* حديث القمر.

* المساكين.

* نشيد سعد باشا زغلول: كتيب صغير عن نشيده " اسلمي يا مصر" الذي أهداه إلى سعد زغلول سنة 1923م. [1].

(1) عبد القادر القط:المرجع السابق، ص: 33.

* النشيد الوطني المصري " إلى العلا... ".

* رسائل الأحزان.

* السحاب الأحمر: وهو الطور الثاني من أطواره بعد القطيعة التي حدثت بينه و بين "مي" صدر بعد رسائل الأحزان بـ 3 أشهر.

* المعركة تحت راية القرآن: قصة ما كان بينه وبين الدكتور **طه حسين** لمناسبة كتابه<< في الشعر الجاهلي >>.

*على السفود: قصة الرافعي والعقاد، نشرته مجلة العصور في عهد منشئها الأول الأستاذ **إسماعيل مظهر**.

* أوراق الورد: الفصل الأخير من قصته مع " مي زيادة ".

* رسالة الحج: أنشأه في صيف عام 1935م استجابة لرأي صديقه الأستاذ **حافظ عامر**، وإليه ينسب.

* وحي القلم: مجموع مقالاته في الرسالة وغيرها، طبع منه جزءان في حياته وطبع الجزء الثالث بعد وفاته.

ثانيا: غير المطبوعة:

* أسرار الإعجاز: فيه فصول تامة التأليف، وفصول أجمل فكرتها في كلمات وأشار إلى مصادرها.

* ديوان أغاني الشعب: و هو ديوان جعل فيه لكل طائفة من طوائف الشعب نشيدا أو أغنية تنطق بخواطرها، وتصور أمانيها. * الجزء الأخير من ديوانه "النظرات"[1]

(1) عبد القادر القط:المرجع السابق، ص ص: 33- 34.

أولا: المطبوعة:

1.وحـــي القلم:

مجموعة مقالات نشرت في الرسالة ما بين سنتي 1934–1937، وهو آخر كتاب أنشأه **الرافعي**،ففيه النفحة الأخيرة من أنفاسه و النبضة الأخيرة من قلبه، والومضة الأخيرة من وجدانه وهو أول كتاب أنشأه على أسلوبه وطريقته، وهو يجمع كل خصائص الرافعي الأدبية متميزة بوضوح، فمن شاء فليقرأه دون سائر كتبه،فسينكشف له الرافعي في سائر كتبه، وإذا حق لنا أن نرتب كتبه ترتيبا يعين قارئه على تذوقه أو دراسة أدبه فإن " وحي القلم" في رأس هذا الثبت هو آخر ما أنشأ،و لكنه أول ما ينبغي أن يقرأ له وإن البدء به لحقيق أن يعوّد قارئه أسلوب **الرافعي** فيسلس له صعبه وينقاد، والكتاب كما يشعر به عنوانه هو مجموعة فصول ومقالات وقصص من وحي القلم وفيض الخاطر في ظروف متباينة،و أكثره ما كتبه لمجلة الرسالة بين سنتي 1934–1937 ولكل فصل أو مقالة أو قصة من هذه المجموعة سبب أوحى إليه موضوعها و أملى عليه القول فيها وهو يجمع كل خصائصه العقلية والنفسية متميزة بوضوح في موضوعه ففيه خلقه ودينه وفيه شبابه وعاطفته، وفيه تزمته ووقاره، وفيه فكاهته ومرحه و فيه غضبه وسخطه، فمن شاء أن يعرف الرافعي عرفان الرأي والفكرة و المعاشرة فليعرفه في هذا الكتاب.

أما الجزء الثالث من هذا الكتاب فقد خلف المؤلف رحمه الله على مكتبه قصاصات من صحف و صفحات من كتب و مجلات،فعاد كتابا بين دفتين، فجمعها صديقه **محمد سعيد العريان** ثم هيأه للمطبعة [1].

(1) مصطفى صادق الرافعي:وحي القلم، ص ص:11-14.

2.تاريخ آداب العرب:

هو الكتاب الثاني في عالم تاريخ الآداب العربية وضع بعد مؤلف **جورجي زيدان** وقد سبقه هذا الأخير بشهر أو شهرين سبقا مطبعيا، وكانت مقالات **الرافعي** في الجريدة وكتابه تاريخ آداب العرب من بعدهما السبب في تدريس الآداب العربية وتاريخها في الجامعة المصرية.

انقطع **الرافعي** إلى تأليف هذا الكتاب في منتصف سنة 1909 إلى آخر سنة 1910 اختلف الرافعي في نهجه التأريخي للآداب العربية عمن سبقه أو لحقه في هذا الميدان،فقد سلك المؤرخون مسلكا تاريخيا دارسين تطورات الآداب العربية وفقا للتموج التاريخي والتتابع الزمني فإذا بهم يقحمونه إلى عصور متلاحقة كالعصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام،و العصر الأموي، والعصر العباسي...إلخ، وبذلك ساروا سيرا علميا مجردا، غير أن الرافعي أبى إتباع هذه الخطة فراح يدرس أدبنا على ضوء القرآن لا غير، معتبرا إياه في ذلك نقطة الانطلاق و الارتكاز التي اندفعت منها جميع الصفوف الأدبية عند العرب.

وقد قال الأستاذ **أحمد لطفي السيد** عن كتاب **الرافعي** " تاريخ آداب العرب ":<< قد قرأنا هذا الجزء، فأما نحوه فعليه طابع الباكورة في بابه، يدل على أن مؤلفه قد ملك موضوعه ملكا تاما، وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا، وليس من السهل أن تجتمع له الأغراض التي بسطها في هذا الجزء إلا بعد درس طويل،و تعب ممل...>> [1].

أما أسلوب الرافعي في كتابه فإنه سليم من الشوائب الأعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا نحن العرب المتأخرين، فكأني وأنا أقرؤه أقرأ من قلم المبرد في استعماله المساواة و إلباس المعاني ألفاظا سابقة مفصلة عليها،لا طويلة تتعثر فيها ولا قصيرة عن مداها تؤدي بعض أجزائها.

(1) ينظر: نجاة محمد عبد الماجد العباسي:المرجع السابق، ص: 64.

وقالت عنه مجلة "المقتطف": <<إنه كتاب السنة >>، ولم تقل مثل هذه الكلمة من قبل و من بعد لغير هذا الكتاب،كل هذا و الرافعي يومئذ قد أتم الثلاثين.

3. إعجاز القرآن:

في عام 1912 أصدر **الرافعي** الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب وموضوعه " إعجاز القرآن و البلاغة النبوية" وهو الذي طبع فيما بعد تحت هذا العنوان، وإثر ذلك كتب إليه **سعد زغلول** يقول:<<حضرة المحترم الفاضل الأستاذ مصطفى صادق الرافعي:

تحدى القرآن أهل البيان في عبارات قارعة محرجة و لهجة واخزة مرغمة، أن يأتوا بمثله، أو سورة منه، فما فعلوا، ولو قدروا ما تأخروا لشدة حرصهم على تكذيبه ومعارضته بكل ما ملكت أيمانهم،و اتسع له إمكانهم.هذا العجز الوضيع بعد ذاك التحدي الصارخ هو أثر تلك القدرة الفائقة و هذا السكوت الدليل عن ذلك الاستفزاز الشامخ هو أثر ذلك الكلام العزيز. ولكن قوما أنكروا هذه البداهة، وحاولوا سترها، فجاء كتابهم إعجاز القرآن مصدقا لآياتها، مكذبا لإنكارهم، يد بلاغة القرآن وإعجازه بأدلة مشتقة من أسرارها في بيان يستمد من روحها، بيان كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم >>[1]

(1) مصطفى صادق الرافعي:إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت،1425ه/2005م،ص:07.

4. حديث القمر:

هو الكتاب الثالث في أدب النثر أصدره بعد مؤلفيه: تاريخ آداب العرب وإعجاز القرآن،و الكتاب هذا أحاديث على لسان القمر كتبها **الرافعي** بعد رحلة إلى لبنان سنة1912، حيث تعرف على شاعرة كان بينه وبينها نجوى وهيام جرت في قلبه منهما ينابيع من العواطف و سيول من الخيال كانت ثمرتها " حديث القمر".

يشرق علينا الرافعي من خلال هذه الأحاديث بآراء تأملية في الحياة، فينهج كما ينهج في كل كتبه نهجا وجدانيا ينفذ به إلى أغوار النفس البشرية ،فثمة مشكلة الزمان والعقل والإيمان، والفقر،والسعادة، والقضاء، والقدر، إلى ما هنالك من عقد فكرية هي محور ما يدور عليه الكتاب.

قال الأستاذ **سعيد العريان** في هذا الكتاب: << وهو أسلوب رمزي في الحب على ضرب من النثر الشعري أو الشعر النثري يصف من عواطف الشباب وخواطر العاشق وما إليهما في أسلوب فني مصنوع لا أحسبه مما يطرب الباحثين من قراء العربية في هذه الأيام إلا أن يقرؤوه على أنه زاد من اللغة ، وزخر من التعبير الجميل ، ومادة لتوليد المعاني وتشقيق الكلام في لفظ جزل وأسلوب بليغ. ومن هذا الكتاب كانت أول تهمة **للرافعي** بالغموض والإبهام واستغلاق المعنى عند فريق من المتأدبين ومنه كان أول زادي و زاد فريق كبير من القراء الذين نشئوا على غرار في الأدب لا يعرفه ناشئة المتأدبين اليوم...>>[1] .

(1) ينظر:كمال يوسف الحاج:مصطفى صادق الرافعي و أدبه،رسالة مقدمة إلى الدائرة العربية لنيل شهادة أستاذ في العلوم،1946 ،ص:08.

5. على السفود:

كتاب نثري ألفه مصطفى صادق الرافعي في نقد " ديوان العقاد" .

والكتاب على الرغم مما فيه من قسوة بالغة وعبارات قاسية في حق العقاد، فإن فيه تذوقا رفيعا لأسرار العربية وأساليبها البيانية ووقفات بديعة حول صناعة الشعر ونقده ومعرفة غثه من سمينه،كيف لا والكاتب الشاعر متمكن من أدواته، وهو كتاب مهم جدا في مجال النقد، ولذلك لا ينبغي علينا أن نهمله لأنه فيه عبارات و كلمات جارحة في حق الأستاذ العقاد، فإن فيه أيضا من الآراء النقدية ما هو جدير بالنشر والذيوع. وهذا الكتاب لم يحط من قدر العقاد بل بقي هوهو كما عرفه أهل عصره، لم ينل كتاب "على السفود" من مكانته الحقيقية لأنه– في النهاية– لا يصح إلا الصحيح.

و لو أردنا أن نهمل كل كتاب وردت فيه عبارات جارحة بحق إنسان عزيز علينا كالأستاذ العقاد رحمه الله أو غيره، لأسقطنا بذلك نصف المكتبة العربية، لأنه ما من كتاب إلا ونجد فيه بعض العبارات القاسية في حق عالم خالف المؤلف في رأيه أو عقيدته.

إذن علينا العمل بالقاعدة الذهبية التي تقول:

خذ من كتابي ما صفا * و دع الذي فيه الكدر.[1]

وكتاب على السفود فيه من الجدة والعلم والأصالة ما يستحق إعادة نشره والإغضاء عما فيه مما لا يرضي أذواق الناس، وأرغب إلى الإخوة الأعزاء من محبي العقاد أن يستبدلوا باسم العقاد زيدا من الناس كلما مر بهم اسم العقاد و لولا الأمانة العلمية لفعلت ذلك، أو يحملوا ما فيه من الهزل و الدعابة، وقد قال **إسماعيل مظهر** في كتاب

(1) مصطفى صادق الرافعي:على السفود نظرات في ديوان العقاد،ص: 7.

على السفود :<< عسى أن يكون السفود مدرسة تهذيب لمن أخذتهم كبرياء الوهم،ومثالا يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص>> [1].

6. كتاب المساكين:

وقعت الحرب العالمية الأولى، وأرسلت إلى مصر الفقر والجوع والغلاء، فلم يك ضحاياها في مصر أقل عددا من ضحاياها في ميادين الحروب، لقد صودرت أقوات الشعب المصري، وحملت إلى المتحاربين، وترك الناس يتضورون جوعا، ويعانون منه أشد المعاناة.

كان الرافعي هو الشاعر المرهف الحس، الرقيق القلب، القوي العاطفة، يرى هذا فتنفعل به نفسه، وتتحرك خواطره، ويتفطر قلبه،فأثرت فيه مناظر البائسين، وأحوال المساكين، فكان من كل ذلك "كتاب المساكين" الذي نشره عام 1917، وهو كتاب يضم بين دفتيه آراء وجدانية في الدين والعلم والإيمان والقدر والحظ والحب والجمال والحرب والشك والضمير والنظام الاجتماعي، و**الرافعي** يرسل آراءه هذه وعظا إلى الناس، وهو لا يوجهها إلى الأغنياء بمقدار ما يوجهها إلى الفقراء، هي خفقات خواطر و نوازع نفس لا يضعها إلا على خوان المساكين لذلك قال في صدر الكتاب: << هذا كتاب المساكين فمن لم يكن مسكينا لا يقرؤه لأنه لا يفهمه ومن كان مسكينا فحسبي به قارئا والسلام>>

وضع الرافعي جميع المواعظ الإصلاحية في الحياة على لسان شيخ اتخذه بطلا له أسماه الشيخ علي، وهو رجل يعيش بظاهرة في هذه الحياة مسكينا، ويعيش بروحه فيما وراء الطبيعة مثريا.

وهكذا خط **الرافعي** بقلمه جسرا بين الغني والفقير، في كتاب صار للبلاغة عنوانا حيث جمع **كتاب المساكين** بين العزاء والرأفة وبين ثراء اللغة وروعتها حتى قال عنه

---

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق،ص: 03.

أحمد زكي باشا : <<لقد جعلت لنا شكسبير كما للإنجليز شكسبير و هيجو كما للفرنسيين هيجو و جوته كما للألمان جوته>> [1].

7.رسائل الأحزان:

أربع عشرة رسالة كتبها الرافعي في كانون الثاني سنة 1924م، فرغ منها مساء 17شباط 1924م، على حد قول الأستاذ **سعيد العريان**، وقد زعم **الرافعي** بأنها رسائل صديق بعثها إليه، وهو يتحدث عنه في أول المقدمة بقوله: << كان لي صديق خلطته بنفسي زمنا طويلا، وكنت أعرفه معرفة الرأي، كأنه شيء في عقلي، ومعرفة القلب كأنه شيء في دمي، ثم وقع فيما شاء الله من أمور دنياه حتى نسيني، وطار عن وجهه حتى غاب عن بصري، والتفت عليه مذاهبه فما يقع إلي من ناحيته خبر، وامتد بيني وبينه حول كامل خلا من شخصه وامتلأ من الفكر فيه،كأنه العام الأول من تاريخ حفرة بين القبور العزيزة التي لا تنسى >>[2]. وهذه الرسائل مفعمة بالأحزان كما يدل عليها العنوان،و قد قال فيها الرافعي: <<هي رسائل الأحزان لا لأنها من الحزن ولكن لأنها إلى الحزن انتهت>>، ويظهر أن الرافعي قد شقى من داء الحب يوم كتب رسائل الأحزان واستعاد وعيه الكامل واستكنت نفسه فما أرادها غير ذكر لمرحلة صاخبة عبرت فيها روحه و ذلك ظاهر من قوله: <<أن كل ما سطرت في هذه الرسائل قد انعقد همه وسواده فكان عجاجة ثائرة من حرب الهوى ليس تحتها في حومة القلب إلا ألم كضربة سيف أو طعنة رمح أو كية رصاصة ملتهبة حمراء، احتلت نفسي عما كانت فيه من غيظ ودافعتها وغالبتها حتى وقفت بها على صراط النسيان، ولكني في ذلك إنما كنت كناقش الشوكة بالشوكة يعالج وخزة واحدة بوخزات كثيرة ويكشف عن حمة العقرب النباتية بحمة مثلها وما زلت أفلت بسن هذا القلم في صميم هذا القلب حتى فاض في صفحات هذا الكتاب >>.

---

(1) مصطفى صادق الرافعي: كتاب المساكين،دار تلانتيقيت للنشر، بجاية، ص ص: 17-21.
(2) مصطفى صادق الرافعي: رسائل الأحزان في فلسفة الجمال و الحب، مطبعة الهلال، مصر، 1924، ص: 02.

والرافعي لما كتب رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب، كان في تدبيره والرأي فيه كمن يؤرخ عهدا من شبابه بعد أن رقت سنه، وذهب يقينه من الدنيا ولم يبق إلا ظنه فهو يكتب والكلام يحن لديه، والقلم يئن في يديه، فكان قلمه هو الذي يكتبها ولكن قلبه هو الذي يمليها.

8. السحاب الأحمر:

فرغ الرافعي من " رسائل الأحزان" في فبراير 1924، وبعدها ببضعة أشهر صدر "السحاب الأحمر"، بعد أن كانت ثائرة المحب قد هدأت قليلا، وتحول الغضب الجامح إلى شيء من التأمل فيما كان وما يمكن أن يجلبه إلى الفكر والوجدان من خواطر عامة تنطلق من التجربة الذاتية لتتسع لتشمل نظرات عامة في الحياة والمجتمع والنفس والأخلاق وما يعرض للأديب في حياته من مواقف، أو يلقى من شخصيات.

وقد تحول فيه من الحديث العام عن صلة المرأة بالرجل وعن ألوان من الحب تتسع فتشمل الود والصداقة إلى الحديث الخاص عن امرأة بعينها.

قال عنه الرافعي: كتبته بلغة الأحلام، والأحلام هذه إنما هي بعض ما مات منا أو ما مات لها، فإن استحال رجوعنا في هذا العمر عودا إلى الماضي فهي رجوع الماضي إلينا ومن ثم كان في لغتها شيء ظاهر من روعة الخلق وكانت لها معان كأنها راجعة من سفر بعيد إلى شوق طال به الصبر،كتبت كتابة قال الغافلون إني أتكلف لها خيالا ورواية، وقال العاشقون إنها كلام قلوبهم،وقال الذين يفهمون الكلام إنه هو في كلامه. و قد كنت أستوحي الرسائل من تلك النفس التي طارت بي طيرتها البطيء وقوعها، فإني لأستعر بها فكرا و أشتعل منها خيالا،و كنت أرى الفصول تخلص في يدي حين أكتبها كما تخلص سبائك الذهب بعناصرها لا بالصناعة، وكان هذا القلم كالحديد إذا أحمي عليه ليست يد لمسته من أيدي المعاني إلا وضع فيها سمة النار،ثم جاء الكتاب وما أكاد أصدق

أن الزمن مر به، وتم قبل أن يتم القمر دورة شهر واحد، فنبهني ذلك إلى أن أستوفي الكلام في الحب استمدادا من أرواح أخرى، فوضعت هذا السحاب الأحمر من تسعة فصول، وقد أستوحيه من أرواح فيها الحبيب والبغيض والصديق والمظلوم والظالم لنفسه ومن عقله قلبه، ومن حبه منفعته، وفيها أضعف ما عرفت من العقول وأقواها، فمن هذه السماء توكفت هذا السحاب[1].

9. أوراق الورد:

انقضت سبع سنوات منذ أن فرغ الرافعي من " السحاب الأحمر" هدأت خلالها ثائرته ونقمته على المرأة وتوزعه الجامح بين الحب والبغض، وكان " السحاب الأحمر" مرحلة انتقال نفسي و فني راض فيها الكاتب نفسه على شيء من الاعتدال العاطفي، وتحول من رصد لحظات الحب المطلق إلى الالتفات إلى بعض لحظات من الحياة وشخصيات من المجتمع، وإلى التعبير عن أفكار ومشاعر تدور حول تلك اللحظات والشخصيات وأصبح أسلوبه أكثر يسرا وأقدر على التعبير المبين عن خواطر يمتزج فيها الفكر بالشعور، وإن لم يخل تماما من سمات أسلوبه السابق في " رسائل الأحزان"، وفي عام 1931 " كتب أوراق الورد"، وقد غدت تجربة حبه الواهم ذكرى تعاوده من بعيد، دون أن يكون لها لذع التجربة الحية، أو مرارة الفشل في الأمس القريب.

والكتاب رسائل متخيلة تدور كل رسالة حول موضوع يختاره الكاتب أو تختاره له أحيانا صاحبة يفترض أن تكتب له ويكتب لها، وأغلب الظن أن الرافعي كان المرسل والمرسل إليه معا، وأنه ابتدع هذه الطريقة ليستعيض بها عما يبدأ به كاتب القصة من رصد الموقف أو لحظة أو شخصية، وليجد منطلقا للكتابة فيما يختار موضوع عاطفي أو فكري، وعن هذا الرأي يقول الأستاذ سعيد العريان: <<إن في أوراق الورد طائفة من رسائله إليها و لكنها رسائل لم تذهب إليها مع البريد،بل هي من الرسائل التي كان يناجيها

(1) ينظر:كمال يوسف الحاج: المرجع السابق، ص:17.

بها في خلوته و يتحدث بها إلى نفسه أو يبعث بها إلى خيالها في غفوة المنى، ويسترسل بها إلى طيفها جلوة الأحلام، إلا رسالتين أو ثلاثة من أوراق الورد...فلما أتم تأليفها وعقد عقدتها بعث بها إليها في كتاب مطبوع بعد سبع سنين من تاريخ الفراق >>[1]

وأوراق الورد تطارحها شاعر فيلسوف روحاني وشاعرة فيلسوفة روحانية، كلاهما يحب صاحبه كما يقول الفيلسوف ابن سينا: "باعتبار عقلي"، وسيرى القارئ فلسفة حبهما في بعض ما يأتي، كما رأى من ذلك في الكتابين الآخرين، وقد جرت الرسائل بينهما على أغراضها في أحوال مختلفة يكتب إليها بما عنده منها، وما عند نفسه من نفسه، وما يكون من الوجود المعصور بينهما في حدود الحب.

وهذا كتاب "أوراق الورد" فحدثني من حدث... في سبب هذه التسمية قال: << كانت معها ذات يوم وردة لا أدري أيتهما ستنتشي الأخرى،فجعلت لها ساعة من حفاوتها تلمسها مرة صدرها و مرة شفتيها.و الوردة بين ذلك كأنما تنمو في شعاع وندى، إذا رأيتها قد تفتحت وتهدلت حتى لحسبت أنها قد حالت أوراقها شفاه ظمأى.

ثم تأملتها شيئا،ثم نحت إلي بصرها و قالت: ما أرى هذا الحب إلا كورق الورد في حياته ورقته وعطره وجماله، ولا أوراق الوردة إلا مثله في انتثارها على أصابع من يمسها،إذ جاوز في مسها حدا بعينه من الرفق،ثم في تفترها على إلحاح من يتناولها إذا تابع إلحاحه عليها و لو بالتنهد،ثم في بناء عقدها على أن تتحلل أو تذوى،إن لم يمسكها مع بنائها الرفيق حذر من أن تكون في يده...لأنها على يده، فن لا وردة. ثم دنت الشاعرة الجميلة فناطت وردتها إلى عروة صاحبها فقال لها: وضعتها رقيقة نادية في صدري، ولكن على معان في القلب كأشواكها، فاستضحكت وقالت: فإذا كتبت يوما معاني الأشواك فسمها " أوراق الورد" >>و كذلك سماها .[2]

(1) مصطفى صادق الرافعي، أوراق الورد رسائلها ورسائله، مكتبة مصر، ص:07.
(2) المرجع نفسه ، ص : 23.

10. ديوان الرافعي:

وهو ثلاثة أجزاء صدرت بين سنتي(1903–1906)، وهي مذيلة بشرح ينسب إلى أخيه **محمد كامل الرافعي** ،و لكنه من إنشاء **الرافعي** نفسه، و إذا كان الجزء الأول هو القمر،فإن الجزء الثاني هو الشمس،و كم في الفضاء بعدهما من شمس و من قمر.

فقد طلع ذلك الجزء على الناس فجأة و له تلك المقدمة التي لم يمتر أحد في أنها فصل الخطاب في الشعر و الشعراء، فأنتبه أدباء العربية لأمر سيكون وانتظروا من شاعرنا روحا عالية تنطق المتقدمين بلسان قلمه، وتحيء أنفاسهم في روائع كلمه، ولكن أكثرهم مع ذلك ممن لا يعرف الشاعر أنكر على ابن ثلاث وعشرين تلك الحكمة الكهلة وذلك الديوان النفيس ينظمه في سنتين هما أول قوله بعد سنة قبلهما، حتى خاطبه بعض أمراء القلم في هذا الأمر فقال له: << (شاعر الحسن) إذا أكبر الناس نظم جزء في سنتين فساء شق لهم القمر، وشاء الله ذلك فنظم هذا الجزء فيما دون السنة، وهو يكفينا أن نشهد له بما يشهد لنفسه>>.

وقد بعث إليه في خاتمة الكتاب فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ **محمد عبده** مفتي الديار المصرية بعد صدور ذلك الجزء هذه الكلمة: << أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفا يمحق به الباطل، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل>> [1]

فإن لم يكن الرافعي شاعر الشرق اليوم، فهو شاعره غذا، وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها.

(1) ينظر:مصطفى صادق الرافعي:الديوان،ص ص11-13.

11.وفاته:

تنحى فارس اللغة السليمة والعبارات البديعة وحامل لواء الأصالة في الأدب ورافع راية البلاغة فيه عن صهوة قلمه،في يوم الاثنين العاشر من مايو عام 1937م الموافق ل:1356ه[1]، فقد كانت أحب الأوقات إليه فترة ما بعد صلاة الفجر، وشاءت الإرادة الإلهية أن تفارق روح فيلسوف القرآن جسده بعد مضي ساعة من صلاة الفجر حيث استيقظ الرافعي مع الفجر كعادته كل يوم، فتوضأ وصلى وجلس في مصلاه يسبح ويدعو، ويتلو قرآن الفجر، فأحس بعد لحظة بحرقة تغزو معدته، ذهب ليتناول الدواء المفيد لهذا الداء المفاجئ، ويكمل صلاته وقراءته، ثم نهض وسار في البهو، وهاهي خطواته تتثاقل حتى سقط على الأرض مفارقا للحياة، ليهب أهل الدار لإسعافه، ولكن مشيئة الله آلت بأن تفيض هذه الروح الطيبة إلى بارئها،حمل جثمانه الصادق ع لى أكتاف أبناء عروبته ليدفن بعد صلاة الظهر إلى جوار والديه في مقبرة العائلة في طنطا، توفي عن عمر يناهز **57 عاما**،فرحمة الله عليه،فقد كان حقا من أطيب الشخصيات التي عرفها الأدب العربي الحديث، فهو الروح التي خلقت لتكون فنا، وغذاء للأرواح، والقلب الذي خلق ليكون نبضا في القلوب، والقلم الذي خلق ليكون أدبا متميزا بين الآداب، والتلقائية الوماضة التي تلتمع فيها النفس وحيا و إشراقا،و الكلمة الصريحة الصافية التي يرعاها اليقين الإنساني و يحييها التدفق الوجداني،كما أنه رجل الانفتاح الحضاري الذي لا يعرف تزمتا و لا تضييقا، و هو رجل الإعترافية الصادقة التي لا تعرف المكر ولا الخداع.

قال عبارته الشهيرة:<<إن لم تزد للحياة شيئا تكن أنت زائدا عليها >>. ولقد زاد حتما على الحياة أشياء حتى انسجم معها و أصبح العطاء منه إليها، رحمه الله تعالى، و أسكنه فسيح جنانه، وأخلف على الإسلام و العروبة خيرا، إن لله و إنا إليه راجعون.

(1) محمد مصطفى هدارة:المرجع السابق، ص: 328.

تمهيد:

لقد شاء الله تبارك وتعالى أن توجد معارك بين الحق والباطل ما دام الناس على هذه الأرض، وفي ذلك اختبار و تمحيص لتجزى كل نفس بما تسعى، وإذا كان لكل معركة جندها المنحازون لها الحاملون رايتها، فقد هيأ الله سبحانه وتعالى قلوبا موقنة ونفوسا زاكية وأقلاما واعية لخدمة كتابه العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد و خدمة لغة هذا الكتاب الخالدة بخلوده، ففاضت أنوار تلك القلوب على أصحاب هذه النفوس، فاهتزت أقلامها الواعية وربت فجاءت بكل نافع ومفيد وأخرجت لنا من عجائب المعاني القرآنية – التي لا تنقضي أبدا– دررا من عذب موارده سلسبيلا سائغا شرابه لذة للشاربين، كما كانت هذه الأقلام سيوف حق شرعت في وجوه المعتدين المعاندين، فردتهم على أعقابهم خاسرين، وتابعت غلولهم أينما كانوا وحيثما وجدوا، وأصلتهم من نيران مدادها ما أحرق مسطور أوراقهم،ونبهت إلى ما تحمله أفكارهم من كيد ولوم ومكر.

وأديب الفكرة الإيمانية الأستاذ مصطفى صادق الرافعي واحد من هؤلاء الجند الذائدين عن حمى الدين و اللغة تحت أعظم راية ألا وهي: **راية القرآن الكريم.**

لقد خاض **الرافعي** معارك عنيفة في شتى ميادين الثقافة مدافعا عن لغة القرآن الكريم، وتراث الأمة العربية والإسلامية في الوقت الذي علت فيه أصوات الماكرين بلغة الضاد والحاقدين عليها تحت دعاوى براقة، تتخذ من الحداثة والحضارة والتقدم ستارا لتفويت المكر وبث الحقد، وقد فاتهم بأن الله قد قيض لهؤلاء الماكرين الحاقدين من يقف لهم بالمرصاد، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الأستاذ العلامة **محمود محمد شاكر**، الذي كشف الستار عن تلك الأقلام التي طالما حاولت هدم الإسلام عن ط ريق الطعن في أحكامه القطعية و لغته التي اختارها الله بيانا لكتابه ، وأستاذ البيان العلامة الفارس المجاهد **مصطفى صادق الرافعي** الذي نحن بصدد الحديث عنه، والذي عاش

حياته واقفا لهؤلاء المكرة الحقدة بالمرصاد، كاشفا مكرهم وحقدهم، مفندا آراءهم مبينا زيفهم،قد مكنته نشأته الدينية وحفظه للقرآن الكريم ودراسة أحكامه في سن مبكر، وكذلك ثقافته الحياتية العامة وتعمقه في الثقافة الأدبية والتراثية بصفة خاصة، وتأصل عاطفته الإيمانية العالية وحسه المرهف الصادق، كل ذلك مكنه من ناصية البيان والسمو إلى مشارق النور ومعارج الإلهام، فجاءت كتاباته الإيمانية، دفقات روحية متنوعة المشاهد والطعوم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أما عن معاركه الأدبية فإنها وإن اتخذت طابع الحدة في معظمها وجاءت مفرداتها بأعنف ما أتتنا به المعارك الأدبية، إلا أنها لا تخلو من خير عام وهدف عظيم تمثل في إزاحة الستار عن الوجوه القبيحة والأفكار الهدامة ولا شك أن لتلك النشأة الأثر الطيب في منهجه الأدبي وبطولاته الفذة في ساحات المواجهات الأدبية والفكرية والسياسية.

1 -الصراع بين القديم و الجديد و موقف الرافعي منه:

إن مسألة القديم و الجديد ليست مسألة أمة بعينها أو عصر بعينه، بل هي قضية تلازم الأمم الحية في جميع أطوارها ومراحلها، فنجد أنها أسالت لعاب الكثير من الأدباء والنقاد، فلا يوجد أديب أو ناقد إلا وتطرق إلى هذه القضية وناقشها من وجهة نظره فكان لزاما على الجديد أن يقاوم ليظهر ويستأثر بالحياة، كما أنه لزام على القديم كذلك أن يقاوم ويناضل قبل أن ينمحى من الوجود ويزول أثره من النفوس، فما دام الإنسان على وجه هذه الأرض فبالطبع هناك قديم وجديد، وأنصار ومعارضون لكل منهما.

و**الرافعي** من أهم الأدباء والمفكرين في العصر الحديث الذين تبنوا قضية القديم والجديد التي ارتقت به و أخذت حيزا كبيرا فيما يكتب، ولعلها هي التي أنزلته من سماء الحب و الكتابة و هو في ريعان الشباب، وزادت فيه فلسفة لم تكن لدنيا الناس إلا ما كان مولعا به، لهذا فالقضية تعد من أهم القضايا التي أثارها الرافعي في زمانه وإن كانت بدورها الأولى قد أسالت حبر الكثيرين << والمعركة ليست جديدة فقد بدأت في الواقع منذ عصر محمد علي حين سافر كثير من المصريين في بعثات تعليمية إلى أوروبا وحين قدم إلى مصر كثير من أساتذة أوروبا وخبرائها، ثم اشتدت المعركة في عصر إسماعيل، الذي كان هدفه أن يجعل مصر قطعة من أ وروبا، ورأينا أثر هذه المعركة في بعض مقالات محمد عبده وعبد الله النديم التي كتبها قبل الثورة العرابية وفي أثنائها ومن بعدها وفي الشهور القليلة التي أصدر فيها مجلة " الأستاذ ">> [1].

إذن فالمسألة وإن تعاقبت في كل العصور إلا أنها في عصر **الرافعي** تعتبر بمثابة ولادة جديدة للأدب العربي في ظل الصراع بين القديم والجديد، وبين الذين يريدون أن يحملوا المسلمين والشرقيين على حياة الغرب وعاداتهم من المستعمرين، ومن الذين

(1) بورايو عبد الحفيظ:مصطفى صادق الرافعي و النزعة الدينية و القومية في أدبه، بحث مقدم لنيل شهادة الليسانس في الأدب الحديث، لم تنشر، عزيز لعكايشي، جامعة قسنطينة، 1993-1994، ص: 62.

يعينونهم على ذلك من المأجورين ولا ننسى كذلك دور افتتاح الجامعة المصرية والاتصالات العديدة بالآداب الأجنبية الفرنسية والإنجليزية والبعثات العلمية التي عكف عليها معظم الأدباء فتأثروا بمنهجها وثقافتها، حيث تعتبر أهم عامل أدى إلى إشعال لهيب هذه المعركة، لأن الباحثون يرون فيها أنه لا بد على الأدب العربي أن يساير ركب الآداب الأجنبية إن أراد أن يكون في مصف الأدب المعاصر، وأن ينهل منها وإن كان ذلك بالانسلاخ من الآداب العربية لنسيان هويتنا العربية والدينية، وهذا ما نراه عند كل من **أحمد لطفي السيد، سلامة موسى، طه حسين** هذا الأخير الذي يقول: << نحن من أنصار المذهب الجديد المتشددين في نصره، نستطيع أن نفهم القرآن الكريم ونذوقه كما يفهمه الأستاذ وأصحابه ويذوقونه ذلك أن مذهبنا الجديد لا يقتل اللغة ولا يصرف الناس عنها. ولا يغير من أصولها وقواعدها، وإنما يريد أن تكون اللغة حية نامية، ومن ذكر الحياة والنمو فقد ذكر التطور ومن ذكر التطور آمن به فهو من أنصار المذهب الجديد سواء أرضى ذلك أم أنكره>>.[1]

والمحافظون الذين يدافعون عن دينهم وتراثهم سواء منهم من يفعل ذلك عن تدبر ووعي، ومن يفعله عن تمسك بما ألف و عكف على ما ورث انطلاقا من فكره وهويته ودينه **فالرافعي** رحمه الله لا يستنكف أن ينبز أنه من أنصار القديم، بل يثبت ذلك ويعتز به، فهو دافع عن القديم وخصوصا اللغة العربية والدين الإسلامي يقول: << المذهب الجديد في الأدب ليس في حقيقة الأمر إلا نتيجة لضعف في اللغة والأدب العربي، وقوة في اللغة والأدب الأجنبي، وأن الذين يزعمون أنهم من أنصار المذهب الجديد إنما هم قوم ضيعوا حظهم من لغة العرب وآدابهم، وأخذوا بنصيب موفور من لغات الإفرنج وآدابهم، فكانت قوتهم في هذه اللغات والآداب، وضعفهم في اللغات العربية وآدابها مصدر تورطهم في

(1) طه حسين:حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج3، ط14، 2004،ص: 30.

فنون سخيفة من القول و كان اعتزازهم بالمذهب الجديد و إنكارهم للمذهب القديم ضربا من الاعتذار لأنفسهم و لونا من ألوان الغرور بأنفسهم أيضا>> [1].

لهذا فالرافعي يرى أن الذين يدعون إلى المذهب الجديد في الأدب ما هو إلا افتقار وجهل للغة و الأدب العربي، مما أدى إلى اجتهادهم في الآداب الغربية وملء فراغهم حيال جهلهم بالآداب العربية، فنادوا بالمذهب الجديد كرد فعل لإثبات هيبتهم أمام المذهب القديم،و يتنكرون له سواء من الناحية الدينية أو من ناحية اللغة العربية، لهذا فالمعركة بين القديم والجديد هي معركة بين الذين يحافظون على دينهم ولغتهم وتقاليدهم، وبين الذين استلبتهم الثقافة الغربية فألبستهم لباسا قد على غير مقاسهم، يقول **الرافعي** واصفا بعضهم: <<إني أعرف بعضهم وأعرف أن أدمغتهم لا يشبهها شيء إلا جلود بعض الكتب التي ليس فيها متن وشرح وحاشية جلد ملفوف على ورق، وورق ينطوي على قواعد محفوظة، وهم أفقر الناس إلى الرأي، وهذه علة حبهم للأساليب الجديدة القائمة على الترجمة ونقل الآراء من الغرب إلى الشرق، وبالمعنى الصريح المكشوف،من الأدمغة المملوءة إلى الأدمغة الفارغة، و فيهم بعض الأذكياء، ولكن ذكاءهم في حواسهم فإن لم يكن هذا فليقولوا هم لماذا؟[2] >> .

فالرافعي يعيب على الذين لم يأخذوا من الغرب إلا سطحيات قائمة على ترجمة أفكارهم و آرائهم و نقلها إلى المجتمع الشرقي متنكرين بذلك لميراثهم العربي <<يقولون:ما هذا الدين القديم؟و ما هذه اللغة القديمة؟ وما هذه الأساليب القديمة؟ ويمرون جميعا في هدم أبنية اللغة ونقض قواها وتفريقها وهم على ذلك أعجز الناس على أن يضعوا جديدا أو يستحدثوا طريفا أو يبتكروا بديعا>>[3].

(1) طه حسين: المرجع السابق، ص:26.

(2) مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم،ج3 ، ص:392.

(3) مصطفى صادق الرافعي: المعركة تحت راية القرآن، تح : سعيد العريان، دار الكتاب العربي لبنان،ط7، 1974م، ص ص:21-22.

و**الرافعي** هنا كانت غايته الكشف عن أسباب نفورهم من القديم، فالقديم عندهم هو الدين الإسلامي، واللغة العربية، التي أصبحت في نظرهم غير مستحدثة ولا تواكب العصر، يقول في ذلك: << العلة في الحقيقة لا ترجع إلى مذهب قديم أو جديد، بل إلى الضعف في اللغة والقوة في اللغة الأخرى، وأن صاحب المذهب الجديد أخذ بالعزم في واحدة وبالتضييع في الثانية، وأكثر من الإقبال على شيء دون الآخر، فتعلق به وأمضى أمره عليه، وحسنت نيته فيه وسكنت فصارت إلى نوع من العصبية للأدب الأجنبي وأهله، فلما ضربت هذه العصبية واستحكمت وجهة الذوق في الأدب وأساليبه إلى تفسير معين بحكم المذهب والهوى ثم جعلت الفهم من وراء الذوق>> (1).

وهكذا فإن **الرافعي** في دفاعه عن القديم لا يرفض التطور والتجديد، فهو قانون الطبيعة، ولكن يحث على أن يكون هذا التجديد تحت لواء قوميتنا وتراثنا فيقول: <<إن الأصل في كل ذلك سلامة اللغة و سلامة القومية، فلا ننظر في آراء الأمم إلا على أننا شرقيون، ولا ننقل من لغات الإفرنج إلا على أننا أهل لغة، لها خصائصها، ولا نصرف مدنيتهم عن أنفسنا، ولا نأتي بسيوفهم لرقابنا، وبنزغاتهم لقلوبنا وكوكاييهم لأنوفنا>> (2).

فإذا كان التجديد هو إضعاف اللغة وأسلوبها، وإدخال الألفاظ السوقية والأعجمية في اللغة العربية الفصحى فهو غير مقبول عنده،لأنه يرى بأن هدف المجددين هو تشتيت لغة الأمة ومحوها من عقائدها وعاداتها وإلحاقها بتقاليد وعادات مصطنعة.

أما المجددون الذين دعوا إلى تعديلات من شأنها أن تجعل اللغة أكثر تلاؤما من مستلزمات الحياة المعاصرة فإن **الرافعي** لم يتعارض معهم، بل حرص على ضرورة وجوب الإصلاح اللغوي، لكن في إطار الشخصية العربية لا في إطار الحضارة الأوروبية.

---

(1) مصطفى صادق الرافعي،المرجع السابق ،ص: 23.
(2) محمد مصطفى هدارة: المرجع السابق، ص:335.

كما تجدر الإشارة لعرض موقف جماعة الديوان من هذه القضية التي لقيت من الجماعة حظا وافرا من الدراسات فنجد **عباس محمود العقاد** يقول:<<أما تقسيم الشعر إلى قديم وحديث فليس المراد به تقسيمه إلى عربي وإفرنجي ولا يراد بالعصري مقابلته بالقديم، فإنني أعتقد أن الشعر العصري يشبه القديم في أن كليهما يعبر عن الوجدان الصميم، ولكن المراد منه التفريق بين الشعر المطبوع وشعر التقليد الذي تدلى إليه الشعر العربي في القرون الأخيرة>>(1).

فنرى أن **العقاد** لا يرجع القديم والجديد إلى أنه مقتصر على اللغة أو أنه مبني على التأثر باللغات الغربية، نتيجة الاحتكاك بالثقافات الأجنبية وتفضيلها على اللغة العربية، كما أننا نجد أن القدم والحداثة عنده غير مقتصرة على زمان ما بل يرجعه إلى الأسلوب و المنهج المتبع لدى كل شاعر و قوة شعره في تصوير وجدانه بعيدا عن التكلف.

كما نجد أن **عبد الرحمان شكري** يدعو في هذه القضية إلى العودة إلى طريقة العصور الأولى في الشعر،فيقول في ذلك: <<هذه كانت مبادئهم،فهم إذن كانوا أخلق بأن يدعوا رجعيين،فهم كانوا رجعيين في طلب احتذاء شعراء الجاهلية وصدر الإسلام في وصف أحاسيس النفس وخواطرها رجوعا إلى الغزل الصناعي وأبواب القول الصناعي التي أولع بها المتأخرون.وكانوا رجعيين في طلب احتذاء سهولة العبارة وأقر بها دلالة على الإحساس أو المعنى كما كان يفعل شعراء الجاهلية وصدر الإسلام رجوعا عن المبالغة التي أولع بها العباسيون، وكانوا رجعيين في طلبهم ألا يقصر الشعر على معان متفق عليها كما كان المتأخرون يفعلون والرجوع إلى طريقة المتقدمين في إظهار كل شاعر خصائص نفسه وفكره، وأن يباح له القول إذن أكثر مما كان يباح للمتأخرين>>(12).

(1) محمد مصايف:جماعة الديوان في النقد،نشر البعث،قسنطينة،الجزائر،1974،ص:156.
(2) المرجع نفسه، ص:157.

فالقديم في نظره هو من خطى الشعراء المتأخرين من عصور الانحطاط، الذي غلب على شعرهم الصنعة والتكلف وما لحق بالشعر من ضعف في اللغة ودخول العجمة وانتشار اللحن لدى الشعراء العباسيين الذين اهتموا بالصنعة اللفظية كثيرا أما الحديث فهو الإقتداء والأخذ عن شعراء الجاهلية لتميز شعرهم بقمة الفصاحة وغاية البيان حينما نزل القرآن معجزا لهم في أكثر أمر يدعو فيه، وقوة البناء وأحكام النسيج والميل إلى الإيجاز فشعرهم كان عفيفا وصريحا كما حث على شعراء صدر الإسلام لقوة شعرهم في نقل الإحساس والتعبير بصدق.

أما **عبد القادر المازني** فنجد أنه لا يأخذ بتقسيم الشعر إلى قديم وحديث، فهو يرى أن في كل عصر هناك قديم كما أنه هناك حديث، فلا داعي إلى تقسيمه حسب العصور.

2 حرب الانحراف و التطاول على اللغة العربية:

كانت أول مرحلة للغة العربية في مسيرتها العالمية مرحلة نزول القرآن الكريم بها ونشره لها، مع تعاليمه في قارتي آسيا وإفريقيا وأطراف من قارة أ وروبا، ولم يفتح الإسلام بلدا إلا فتحته معه، فإذا لغة أهله تزايل ألسنتهم وتحل محلها، وما يلبثون أن يتعربوا ويتخذوا العربية أداة للتعبير عن مشاعرهم وأهوائهم وعقولهم وأفكارهم، وهذا التفوق على لغات البلاد المفتوحة لم يكن مرجعه إلى قهر أهلها وغل بت العرب عليهم وإنما كان سببه الحقيقي ما امتازت به العربية من حسن الأداء وجمال البيان، وليس ذلك فحسب، فإن الذكر الحكيم بلغ بهما الذروة في البلاغة، بل في الإعجاز البلاغي الذي ليس له سابقة ولا لاحقة في تاريخ الآداب الإنسانية.

ولم يعد القرآن الكريم العربية لتتميز بخصائص بلاغية وجمالية باهرة فحسب، بل أعدها أيضا لتصبح لغة علم عالمية بما وسع في طاقاتها وأوعيتها اللغوية لتحمل رسالة الدين الحنيف، وكل ما يرتبط به من عبادات وتشريعات وقيم روحية واجتماعية وعقلية وإنسانية، وبمجرد أن فتح الإسلام ديار مصر و الشام اللتان كانتا تتبعان الدولة البيزنطية وتتخذان اليونانية لغة رسمية لهما، أخذت هذه اللغة تنسحب من الألسنة أمام العربية وأخذ أهل الشام ومصر يتعربون ويتخذون العربية للتعبير عن كل ما يجول في خواطرهم وعقولهم وأفئدتهم.[1]

إلا أنه هناك اليوم من يريد تشويه هذه اللغة المقدسة لغة القرآن وأهل الجنة والإنقاص من قيمتها، فقد ظهر هناك الكثير من الداعين إلى ترك اللغة العربية الفصحى وإحلال العامية محلها.

(1) ينظر:شوقي ضيف:من المشرق و المغرب بحوث في الأدب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1،أكتوبر1998،ص:110.

وقد ارتبطت فكرة محاربة الفصحى بالاستعمار الفرنسي ارتباطا وثيقا، حيث نجد أنه أول من دعى إلى ترك الفصحى واستبدالها بالعامية، وحين فشلت كل مخططاته في ذلك لجأ إلى خطة خبيثة، وهي دعوته لرجل إنجليزي إلى إلقاء محاضرة تحت عنوان: " لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن"، حيث رد عن هذا التساؤل بجواب عجيب غريب من نوعه فقال: <<إن من جملة العوامل في فقد قوة الاختراع عند المصريين استبقاءهم اللغة العربية الفصحى >>[1]، وأنهم لو هجروها إلى العامية لتقدموا وبرعوا، كما فعل الإنجليز لما هجروا اللاتينية التي كانت لغة الكتابة عندهم.

ولم يكن مهندس الري الإنجليزي وحده من يدعو إلى مثل هذه الدعوات الخبيثة، بل كانت دعوة القاضي الإنجليزي " ولمور" أخبث بكثير، حيث ألف كتابا بعنوان " لغة القاهرة " ضمنه دعوة صريحة إلى الكتابة باللغة اللاتينية بدل الحروف العربية، الأمر الذي انتبه إليه أبناء الأمة المخلصين الأوفياء، وتعد قصيدة " **حافظ إبراهيم**" الناطقة بلسان اللغة العربية، بمثابة رد صريح ومباشر على دعوة " **ولكوكس**" وإبطال إدعائه بأنه لا يمكنها – اللغة العربية– أن تكون لغة العلماء و المخترعين،و فيها يقول **حافظ:**

رَجَعْتُ لنفْسِي فَاتّهَمْتُ حَصَاتِي * وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَـيَاتِي

رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشّبَابِ وَلَيْتَنِي * عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِـدَاتِي

وَلَدْتُ وَلَمّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي * رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَـنَاتِي

وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لَفظًا وَغَـايَةً * وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ

فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ * وَتَنْسِيقِ أَسْمَـاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ * فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي[2]

(1) مصطفى الشكعة:المرجع السابق،ص:41.
(2) حافظ إبراهيم: المرجع السابق،ص ص: 209- 210.

ويواصل **حافظ** دفاعه عن الفصحى، فيكشف عن المؤامرات التي تحاك ضدها وعن الدسائس التي تعد لها، وكان ذلك على لسانها في فخر وحياء فيقول:

أيُطربُكم من جانبِ الغَربِ ناعِبٌ * يُنادي بوَأدي في رَبيعِ حَياتي

ولو تَزْجُرونَ الطَّيرَ يوماً عَلِمتُمُ * بما تحتَه مِنْ عَثْرَةٍ وشَتَاتِ

سقَى اللهُ في بَطْنِ الجزيرةِ أَعْظُماً * يَعِزُّ عليها أن تلينَ قَناتِي

حَفِظْنَ وِدادِي في البِلى وحَفِظْتُه * لهُنّ بقلبٍ دائمِ الحَسَراتِ

وفاخَرْتُ أَهلَ الغَرْبِ والشرقُ مُطْرِقٌ * حَياءً بتلكَ الأَعْظُمِ النَّخِراتِ

أرى كلَّ يومٍ بالجَرائدِ مَزْلَقًا * مِنَ القبرِ يدنيني بغيرِ أناةِ

وأسمَعُ للكُتّابِ في مِصرَ ضَجّةً * فأعلَمُ أنّ الصَّائحِين نُعاتي (1)

كما انه يوجد هناك دعاة آخرون إلى العامية نذكر منهم: " **قاسم أمين**" الذي طالب بأن تأخذ العامية مكان الفصحى لما في هذه الأخيرة من صعوبات و عقبات تواجه القارئ أثناء تعلمها،فطالب بإلغاء الإعراب و تسكين آخر الكلمات،فيقول: <<إن الأوربي يقرأ ليفهم ،أما نحن فنفهم لكي نقرأ>> (2).

و لا ندري إن كان من حسن حظنا أو من سوءه أنه انحرف و مال عن هذا الطريق إلى طريق آخر يعالج من خلاله موضوع "تحرير المرأة".

بالإضافة إلى " **قاسم أمين**" هناك عدو آخر للفصحى هو:" **أحمد لطفي السيد** " الذي كان يدعو إلى ما أسماه " تمصير اللغة " أو بعبارة أخرى " الإصلاح بين العامية والفصحى" ونرى في ذلك أن ه يلعب على الوترين، فيبدأ أولا بالمساواة بين العامية

(1) حافظ إبراهيم:المرجع السابق، ص: 210.
(2) مصطفى الشكعة، المرجع السابق،ص ص:44-45.

والفصحى ثم يصل أخيرا إلى العامية الكاملة المطلقة، فهو يرى بأنه لابد من استعمال تراكيب العامة ومفرداتها من أجل إحياء لغة التخاطب وإضفاء لباس الفصاحة عليها فنجعل من العامية لغة للكتابة في حين تنزل الفصحى إلى ميدان التحاور والتعامل، يقول "**أحمد لطفي السيد** " : << إننا إذا أردنا الصلح بين اللغتين فأقرب الطرق لهذا الصلح أن نشرع إلى إحياء العربية باستعمال العامية>> [1] .

فعندما تبين له أن دعوته إلى العامية صارت ضعيفة وبأن معارضيه والمنكرين عليه هذه الدعوة أقوى وأمكن منه عمد إلى هذه المصالحة الغريبة من نوعها – مصالحة الفصحى والعامية –.

أما من أشرس وأعنف الثائرين على الفصحى فهو " **سلامة موسى**" الذي نهج منهج "قاسم **أمين**" و" **أحمد لطفي السيد** " وسار على دربهما في ثورته ضد اللغة العربية الفصحى مستعملا في ذلك ألفاظا وعبارات غير لائقة فيقول: << والتأفف من اللغة الفصحى التي نكتب بها ليس حديثا، إذ يرجع إلى ما قبل ثلاثين سنة حين نعى قاسم أمين على اللغة الفصحى صعوبتها، وقام على أثره منشئ الوطنية الحديثة – كذا– أحمد لطفي السيد فأشار باستعمال العامية، أي لغة العامة، ولكن هؤلاء العامة الذين انتصر للغتهم كانوا من سوء القدر لأنفسهم بحيث تألبوا عليه وجازوه جزاء لا يأتي إلا من العامة الذين لا يدرون مصالحهم>>[2].

والعجيب أن "**سلامة موسى**" لا يقصد بالعامة في كلامه الناس البسطاء العاديون، بل يقصد العلماء الأجلاء الذين عارضوا " **لطفي السيد**" ووقفوا في وجهه، وكانوا مع اللغة العربية الفصحى وناصروها.

(1) مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص:45
(2) المرجع نفسه، ص ص:46-47 .

وقد ألف "**سلامة موسى**" كتابه " **اليوم و الغد** " الذي تناول فيه أفكاره حول اللادينية ومحاربة عظماء الإسلام والتهجم على القيم الإسلامية واللغة العربية محاولين طمس معالمها، ومن بين أقواله في هذا الشأن: <<يقوم بذهننا أنه يجب علينا أن نكون على ولاء للثقافة العربية فندرس كتب العرب ونحفظ عباراتهم على ظهر وقلب، كما يفعل أدباؤنا المساكين المازني والرافعي وندرس ابن الرومي، ونبحث عن أصل المتنبي، ونبحث في علي ومعاوية، ونفاضل بينهما، ونتعصب للجاحظ>> (1).

ثم يواصل حديثه قائلا: <<ليس علينا للعرب أي ولاء وإدمان الدرس لثقافتهم مضيعة للشباب وبعثرة لقواهم، فيجب أن نعودهم- وهذا هو بيت القصيد عند سلامة موسى- الكتابة بالأسلوب المصري الحديث، لا بأسلوب العرب القديم، ثم يجب أن نذكر أن إدمان الدرس للعرب يشتت الأدب المصري ويجعله شائعا لا لون له>> (2).

هذا و الله لأمر مثير للدهشة والتساؤل إذا ما كان هناك أدب مصري حقا كما يدعي سلامة موسى، وإن كان موجودا فمن الذين كتبوا به؟ ومن الذين قرؤوه؟

وتمضي الأيام والأعوام ولا يزداد **سلامة موسى** إلا حقدا على العربية وبعضا لها حتى وصل به الحد إلى المطالبة بإزالتها واستبدالها بلغة مغايرة لها.

ومما نتأسف له ونعجب من أمره أن شيخا كبيرا مثل **عبد العزيز باشا فهمي** يتورط في قضية مثل هذه- إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية- وهو شيخ السياسة والقضاء وتاريخ نضال طويل، فكان تهجمه على الفصحى لا يقل ضراوة عن من قبله ومن الضروري أن يصبح هذا التهجم حديث العوام والخواص، وأن يبدو سخطهم عليه مثلما فعلوا مع من سبقه.

(1) مصطفى الشكعة:المرجع السابق،ص:47.
(2) المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

فكما أن أصوات أعدا ء اللغة العربية كانت عالية في سماء الأدب، فإن أصوات المدافعين عنها كانت أعلى وأقوى بكثير، ومن الطريف أن نجد أن من أكبر المدافعين عن الفصحى هم مسيحيون أمثال الشيخ **خليل اليازجي** والشيخ **إبراهيم اليازجي** و**جورجي زيدان**، بالإضافة إلى المستشرق الكبير **نلينو** الذي رفض هذه الدعوات وسخفها وتفه أصحابها والداعين لها،كما كتب **طاهر الطناحي** مقالا أبطل فيه تلك الدعاوى بالأدلة والبراهين التاريخية والعقلية، وكان ملتزما في أحكامه بالموضوعية التامة لم يخضعها لمشاعره وذاتيته.

بالإضافة إلى هؤلاء توجد أصوات أخرى مدافعة ومناصرة لهذه اللغة، لا لشيء إلا لأنهم أبناؤها وأطفالها الذين تربوا في أحضانها منذ أول أيام حياتهم، ومن أشهرهم: **القاضي عباس فضلى** و**شكيب أرسلان**.

غير أن أعلى وأقوى صوت كان للأديب العظيم حامل لواء المسلمين، المدافع عن لغتهم ودينهم بكل جرأة وشهامة **مصطفى صادق الرافعي** ، الذي كان له الفضل الأكبر في نصرة هذه اللغة حيث يقول: << وما ذلت لغة شعب إلا ذل ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار،ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة ويرغبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد:

أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا، وأما الثاني الحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع>> (1).

فاللغة هي مصدر رفعة وعزة أي أمة، فإن ارتقت وعلت لغتهم فهم في رقي وعلو كذلك، والعكس بالعكس، فإن انحطت و ذلت، فالأمة سوف يكون مآلها الانحطاط والذل لا

(1) مصطفى صادق الرافعي:وحي القلم،ج3،ص ص33-34.

محالة، ولهذا نجد أن أي مستعمر يقوم باستعمار بلاد إلا و يحاول جاهدا قدر الإمكان نشر لغته فيها و طمس معالم لغة تلك البلاد، وهو بهذا العمل إنما يريد تقييد لغتهم، ومحاولة محو ماضيهم ونسيانه ومن ثم يكون مستقبلهم في يده يحركه كيفما يشاء.

3 -ماهية الأدب و الأديب عند العقاد و الرافعي:

لقد عرف الأدباء كلمة الأدب منذ القدم وتداولتها ألسنتهم، فكل واحد عرفه بطريقته الخاصة التي تميزه عن غيره، ويعود ذلك لاختلافهم في تفضيل المعنى على اللفظ أو العكس- اللفظ على المعنى - فمنهم من ركز على العبارة وما تقتضيه من سلامة و صحة،ومنهم من ركز على المضمون و ما يحمل من أفكار ومشاعر، ولهذا فالأدب هو وسيلة للتهذيب الأخلاقي، وهو كسائر الفنون الأخرى له وظيفة يسعى إليها سواء كانت اجتماعية أو إنسانية روحية، وجماعة الديوان من أصحاب هذا الرأي الأخير، فهي تنطلق في تعريفها للأدب من العلاقة الموجودة بين الأدب والحياة، حيث نجد العقاد في تعريفه للأدب متمسك بالعبارة: <<ما الحياة و ما الأدب؟شيئان كلا نسيجهما من مادة واحدة فالحياة هي شعور تتملاه في نفسك،و تتأمل آثاره في الكون،و في نفوس غيرك،و الأدب هو ذلك الشعور ممثلا في القالب الذي بلائمه من الكلام>>[1].

فالأدب عند **العقاد** هو مرآة عاكسة للحياة،و الحياة شعور يترجمه الأدب في أصدق تعابيره، تنبعث منه نفسية الشاعر من خلال تجاربه في الحياة، وشعوره الصادق لأحاسيسه دون تزييف، كما أن الأدب والحياة يشتركان في أن مادتهما واحدة، غير أن الأول شعور يتكون من ألفاظ، أما الثاني فهو شعور نقي،لهذا فهما متلازمان وجدا في كل عصر وفي كل مكان،كما قال العقاد:<< و الناس لم يكونوا في حاجة من قبل إلى من يثبت لهم أن الأدب لا يكون بغير حياة، ولكنهم يحسبون أنهم بحاجة إلى من يثبت لهم أن الحياة لا تكون بغير أدب،مع أن الأمرين بمنزلة واحدة من الحقيقة >>[2].

(1) محمد مصايف:المرجع السابق،ص: 182.
(2) المرجع نفسه،ص: 183.

فالناس يعرفون أن الأدب هو ترجمة عن الحياة، وهي مادته التي ينطلق منها،فلا توجد أمة أنشأت أدبا ساميا دون أن تكون نفسية أبنائها مفعمة بالحياة تدفعهم إلى التعبير عن تجاربهم و عواطفهم انطلاقا من شعور صادق.

لهذا **فالعقاد** يرى بأن الأديب هو: << كل ذي رأي أحسن العبارة عنه بلفظ عربي صحيح سواء ظهر في هذا العصر أم قبل عشرة قرون >>(1).

فالشاعر يشترط عليه أن يعبر عن هذه الرؤى بأحسن صورة وتعبير عن العصر الذي يعيش فيه دون أن يقتصر عليه هذا العصر أو غيره.

كما لا يخفى علينا بأن **الرافعي** هو صاحب نزعة قومية ودينية يحمل رسالة أمته على عاتقه مستندا في ذلك على مبادئ وقيم يؤمن بها، منطلقا من فكرته بأن للكلمة حق ومسؤولية ولكل أديب واجب وحق اتجاه أمته باعتباره يعيش في هذا الكون كعنصر فعال متجانس فيه يتأثر بموجوداته ويؤثر فيها، ويبدع ويبتكر من أسراره، فالأديب إنسان كوني كما يقول **الرافعي:** <<لو أردت أن تعرف الأديب من هو، لما وجدت أجمع ولا أدق في معناه من أن تسميه الإنسان الكوني، وغيره هو الإنسان فقط، ومن ذلك ما يبلغ من عمق تأثره بجمال الأشياء ومعانيها، ثم ما يقع من اتصال الموجودات به بآلامها وأفراحها، إذ كانت فيه مع خاصية الإنسان خاصية الكون الشامل، فالطبيعة تثبت بجمال فنه البديع أنه منها،و تدل السماء بما في صناعته من الوحي والأسرار أنه كذلك منها، وتبرهن الحياة بفلسفته وآرائه هو أيضا منها، وهذا وذاك وذلك هو الشمول الذي لا حد له، والاتساع الذي كل آخر فيه لشيء، وأول فيه لشيء>>(2).

فالأديب في نظره هو ذلك الإنسان المندمج روحيا وجسديا اندماجا حقيقيا داخل أمته يعبر عن آلامها وآمالها وطموحاتها وبهذا يكون حاملا لواء أمته عن طريق أدبه الذي

(1) محمد مصايف: المرجع السابق، ص: 190.
(2) مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، ج3، ص: 214.

يرفع أو يحط من شأن أمته، فالأدب الحقيقي هو الذي ينشئ الأمة إنشاء ساميا، ويرفعها ويزيدها قيمة وعلوا و يسمو بها من أسرار الكون إلى أسرار الألوهية، معتمدا في ذلك على القرآن الكريم << فالقرآن بأسلوبه ومعانيه و أغراضه لا يستخرج منه للأدب إلا تعريف واحد هو السمو بضمير الأمة، وإن الأديب هو من كان لأمته وللغتها في مواهب قلمه لقب من ألقاب التاريخ>>[1].

فنجد أن القرآن الكريم بكل ما يحمله من معاني و أساليب ، لا يعرف الأدب إلا بتعريف واحد، وكذا الأمر نفسه بالنسبة إلى الأديب.

(1) مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق ،ص: 220.

4 الشكل و المضمون عند الرافعي:

اختلف النقاد وعلماء الجمال في مسألة الشكل والمضمون في العمل الفني، وهما العنصران اللذان يخرجان لنا الصورة الفنية للعمل، فالشكل هو العناصر الخارجية للعمل الفني، أما المضمون فهو الموضوع المعبر عنه، بمعنى المادة الخام التي يشكلها الفنان.

<< وهما ظاهرة اجتماعية في كل دوائر حياتها وفي كل لحظاتها، من الصورة الصوتية حتى أشد طبقات معانيها تجريدا >> (1). والفنان الذي نجد في عمله فجوة بين الشكل الفني والمضمون الفكري للعمل الفني يعد فنانا ضعيفا، ولم يستخدم أدواته ووعيه بشكل جيد، لأنهما يعتبران الوسيلة والغاية في الآن نفسه.

وهكذا نجد أن الأدب عند **الرافعي** لا يقوم على الشكل وحده كما أنه لا يقوم على المضمون وحده كذلك، ولكنه يقوم عليهما معا، فكما أن للشكل(الأسلوب) أهمية، نجد للمضمون كذلك أهمية وغاية يريد تأديتها.يقول **الرافعي** في تبيان أهمية الأسلوب: <<إن الإفهام ونقل الخاطر والإحساس ليست هي البلاغة وإن كانت منها، وإلا فكتابة الصحف كلها آيات بينات في الأدب، إذ هي من هذه الناحية لا يقدح فيها ولا يغض منها، وما قصرت قط في نقل خاطر ولا استخلقت دون إفهام>> (2).

فالبلاغة لا تنحصر في الإفهام ونقل الخاطر والإحساس فحسب، حتى وإن كانت جزءا منها، بل هي أوسع من ذلك بكثير.

كما أن الأسلوب الأدبي يتميز بمجموعة مميزات وخصائص قائمة على التخيل والتصوير وأساليب البلاغة المختلفة التي لا يؤتاها إلا البلغاء والفصحاء، وهي تعتبر جزءا لا يتجزأ من الأدب لا مجرد زخارف شكلية تزيد المعنى جمالا، يقول **الرافعي:** <<وما المجازات والاستعارات والكنايات ونحوها من أساليب البلاغة إلا أسلوب طبيعي

(1) ميخائيل بختين:الكلمة في الرواية،ترجمة:يوسف حلاق،منشورات وزارة الثقافة،دمشق،ط1988،1،ص: 05.
(2) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق،ص: 180.

لا مذهب عنه للنفس الفنية، إذ هي بطبيعتها تريد دائما ما هو أعظم، وما هو أجمل، وما هو أدق، وربما ظهر ذلك لغير هذه النفس تكلفا وتعسفا ووضعا للأشياء في غير موضعها، ويخرج من هذا أنه عمل فارغ وإساءة في التأدية وتمحل لا عبرة به، ولكن فنية النفس الشاعرة تأبى إلا زيادة معانيها، فتصنع ألفاظها صناعة توليها من القوة ما ينفذ إلى النفس ويضاعف إحساسها، فمن ثم لا تكون الزيادة في صور الكلام وتقليب ألفاظه وإدارة معانيه إلا تهيئة لهذه الزيادة في شعور النفس، ومن ذلك يأتي الشعر دائما زائدا بالصناعة البيانية، لتخرجه هذه الصناعة من أن يكون طبيعيا في الطبيعة إلى أن يكون روحانيا في الإنسانية، والشعور المهتاج المتفزز غير الساكن المتبلد، والبيان في صناعة اللغة يقابل هذا النحو،فتجد من التعبير ما هو حي متحرك، وما هو جامد مستلق كالنائم أو كالميت>> (1).

فالرافعي يرى بأن النفس الفنية تميل دائما إلى الأساليب البسيطة التي فيها نوع من الدقة و الجمال والعظمة، مبتعدة عن الأساليب المتكلفة المحشوة بالكنايات والاستعارات والمجازات التي تسيء إلى العمل الأدبي أكثر مما تحسن إليه، والشاعر الحق هو الذي يجيد اختيار الألفاظ المناسبة التي تتوغل داخل النفس الإنسانية و تضاعف من أحاسيسها ومشاعرها وتزيدها هيجانا على هيجان.

وهكذا يتحقق أن <<الأسلوب هو أساس الفن الأدبي ، وأن اللذة به هي علامة الحياة فيه>> (2).

فلذة العمل الأدبي نابعة من دقة معانيه وجمال أسلوبه الذي يعتبر الأساس الأول لكل فن أدبي، فلولاه لما وجدت لذة وما وجد أدب أصلا، وبهذا نجد أن الأدب التام المتميز هو الذي يتشكل من شكل ومضمون راقيين، وهذا ما تستشعره أنت وتحس به عندما تقرأ

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق،ص: 182.
(2) المرجع نفسه،ص: 218.

<< للأديب البليغ التام صاحب الفكر والأسلوب والذهن الملهم، فإنك تقف على المعنى من معانيه يملأ نفسك ويتمدد فيها ويهتز بها طربا وإعجابا>>(1).

فالأديب النابغ الذكي هو الذي يستطيع النفاذ إلى أغوار النفس البشرية، فيؤثر فيها ويملؤها طربا وإعجابا، وهذا كله بفضل قوة أسلوبه وعمق تفكيره، وقدرته على الانسراب في أعماقها، يقول **الرافعي:** <<والفن كله إنما هو هذا التأثير، والاحتيال على رجّة النفس له واهتزازها بألفاظ الشعر ووزنه وإدارة معانيه وطريقة تأديتها إلى النفس، وتأليف مادة الشعور من كل ذلك تأليفا متلائما مستويا في نسجه لا يقع فيه تفاوت ولا اختلال، ولا يحمل عليه تعسف ولا استكراه، فيأتي الشعر من دقته وتركيبه الحي ونسقه الطبيعي كأنما يقرع به على القلب الإنساني ليفتح لمعانيه إلى الروح>>(2).

فأساس الفن هو التأثير في المتلقي تأثيرا قويا يجعله يسبح في فضائه بكل طلاقة وحرية، ودونما إكراه أو تعسف، ليلج ذلك الشعر إلى قلب السامع، فيستقبله بصدر رحب لأنه يكون حاملا لكل المعاني التي كان يبحث عنها.

وما دام الأدب العظيم يقوم على نبل العواطف ورفعة المعاني وجمالية الأسلوب فعلى الناقد أن يكون ملما بكل هذه العناصر ليستطيع نقد النص من شتى نواحيه شكلا ومضمونا وأسلوبا و... لأن العمل الأدبي كل متكامل، ولا يمكن فصل أي جانب من الجوانب الأخرى، يقول **الرافعي:**<< وإذا كان من نقد الشعر علم فهو علم تشريح الأفكار وإذا كان منه فن فهو فن درس العاطفة، وإذا كان منه صناعة فهي صناعة إظهار الجمال البياني في اللغة...>> (3).

(1) مصطفى صادق الرافعي،المرجع السابق،ص:226.
(2) المرجع نفسه، ص: 242.
(3) المرجع نفسه، ص:246.

فنقد الشعر أينما صنف فذاك مكانه، فلو صنفناه في دائرة العلوم لوجدناه يعني علم تشريح الأفكار، ولو صنفناه في دائرة الفنون لوجدناه يعني فن درس العاطفة، ولو صنفناه في دائرة الصناعات، لوجدناه يعني صناعة إظهار الجمال البياني في اللغة.

ويجدر على الناقد أن يقف على موهبة الأديب ويتعرف على مدى عبقريته وإبداعه، وذلك من أجل الخلاص إلى درس متكامل للعمل الأدبي، ولا يكون له ذلك إلا كما يقول **الرافعي:**<< بالبحث في الأغراض أي " المواضيع" التي نظم فيها الشاعر وما يصله بها من أمور عيشه و أحوال زمنه وكيف تناولها من ناحيته ومن ناحيتها وماذا أبدع، ثم في أي المنازل يقع شعره من شعر غيره في تاريخ لغته وآدابها، ثم نظرته الفلسفية إلى الحياة ومسائلها و اتساعه لأفراحها وآلامها وقوة أمواجه الروحية في هذا البحر الإنساني الرجاف والمتضرّب الذي يبلغ في نفوس بعض الشعراء أن يكون كالأقيانوس وفي بعضها أن يكون كالمستنقع...ثم دقة فهمه عن وحي الطبيعة والإشراف على جلية معناها بالهمسة و اللمسة>> [1].

فعلى الناقد الحقيقي أن يكون ملما ومحيطا بكل ما يتعلق بالشاعر وشعره من محاسن، ومآخذ والموازنة بينهما، وذلك من خلال البحث في أغراضه ومواضيعه التي نظم فيها.

(1) مصطفى صادق الرافعي،المرجع السابق،ص:246.

5 -فلسفة الشعر و صفات الشاعر عند الرافعي:

العرب أفضل الأمم، وحكمها أشرف الحكم، لفضل اللسان على اليد والبعد عن امتهان الجسد، إذ خروج الحكمة عن الذات بمشاركة الآلات، إذ لا بد للإنسان من أن يكون تولى ذلك بنفسه أو احتاج فيه إلى آلة أو معين من جنسه.[1]

وكلام العرب نوعان: منثور ومنظوم، هذا الأخير الذي كان فنا مستوفيا لأسباب النضج و الكمال منذ ظهر العرب على صفحة التاريخ[2].

كما أننا لا ننكر أن الشعر في الأصل موهبة غير أنها لا تلبث أن تتحول عند أصحابها إلى ممارسة و دراسة طويلة لتقاليد ومصطلحات موروثة في تاريخ الفن [3].كما أنه الفرع الذي يراعى فيه الجمال الفني والتأثير في ذوق القارئ والسامع وإثارة ما يمكن أن يثار في نفسيهما من مشاعر و عواطف متباينة[4].

وقد أراد أديب العربية **مصطفى صادق الرافعي** أن يكون الشعر رسالة هادفة تنبض فيها روح الشاعر، الذي يعتبره إنسانا غير الإنسان العادي،فهو في نظره لا يمثل ذاته فقط بل يمثل عامة الناس، وبهذا فإنه لا يعيش لزمنه فحسب بل نراه يلم بجميع الحقب والأزمنة في الماضي والحاضر والمستقبل، حيث يقول: << فالإنسان من الناس يعيش في عمر واحد، ولكن الشاعر يبدو كأنه في أعمار كثيرة من عواطفه وكأنما ينطوي على نفوس مختلفة تجمع الإنسانية من أطرافها>>[5].

فهو يرى أن الإنسان العادي يعيش عمرا واحدا ، أما الشاعر فكأنه يعيش أعمار الناس كافة، وهذا نابع من عواطفه و أحاسيسه التي تحيط بالإنسانية من جميع نواحيها.

---

(1) أبو علي الحسن بن رشيق،القيرواني،الأزدي:العمدة في محاسن الشعر،و آدابه،و نقده،دار الجيل،سوريا،ط2 1401هـ /1981م، ص:19.
(2) كارل بروكلمان:تاريخ الأدب العربي،ترجمة:عبد الحليم النجار،دار المعارف،القاهرة،مصر،ج1،ط 5،ص:44.
(3) شوقي ضيف:الفن و مذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط11، ص:08.
(4) شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 24، ص:11.
(5) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق، ص ص: 235- 236.

وهكذا نستنتج بأن الكونية والشمولية هي الصفة الأولى للشاعر. أما الصفة الثانية فهي النبوغ،والتي تعتبر مصدر الإلهام والعبقرية والذكاء والبصيرة، يقول **الرافعي:** << فالنابغة كأنه إنسان من الفلك،فهو يخزن الأشعة العقلية و يرقيها،و في يده الأنوار والظلال والألوان يعمل بها عمل الفجر كلما أظلمت على الناس معاني الحياة>>[1] .

فالإنسان النابغة في نظره كأنه مخلوق فضائي يتحكم في كل شيء، الأنوار الظلال الألوان...، و يظهر فقط وقت الحاجة إليه مشبها إياه بضوء الفجر بعد ظلمة الليل.

أما الصفة الثالثة للشاعر فهي مرتبطة بعينيه و عشقه و حبه للجمال، فيقول **الرافعي** في ذلك: <<ذاك الذي يرى الطبيعة كلها بعينين لهما عشق خاص، وفيهما غزل على حدة،و قد خلقتا مهيأتين بمجموعة لنفس العصبية لرؤية السحر الذي لا يرى إلا بهما، بل الذي لا وجود له في الطبيعة الحية لولا عينا الشاعر، كما لا وجود له في الجمال الحي لولا عينا العاشق>> [2].

فقد ربط لنا الرافعي بين الشاعر والعاشق، وجعلهما وجهان لعملة واحدة، وجعل الطبيعة هي منبع أحاسيسهما ومشاعرهما،فلكل واحد منهما قانونه وطريقته الخاصة التي تميزه عن باقي الأشخاص العاديين.

ثم يواصل حديثه عن صفات الشاعر فيقول: << والشاعر الحقيق بهذا الاسم..تراه يضع نفسه في مكان ما يعانيه من الأشياء و ما يتعاطى وصفه منها ثم يفكر بعقله على أن عقل هذا الشيء مضافا إليه الإنسانية العالية، وبهذا تنطوي نفسه على الوجود فتخرج الأشياء في خلقة جميلة من معانيها، وتصبح هذه النفس خليقة أخرى لكل معنى داخلها أو

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق، ،ص: 223.
(2) المرجع نفسه، ص:235.

اتصل بها، ومن ثم فلا ريب أن نفس الشاعر العظيم تكاد تكون حاسة من حواس الكون>>[1].

وهو هنا يبين لنا صفة رابعة هي قدرة الشاعر على الاندماج في الأشياء والأفكار والموضوع الذي يعالجه، هذه القدرة التي يرجعها إلى موهبة الشاعر أولا وفلسفته الشعرية ثانيا.

وقد أرجع **الرافعي** سر تفوق **حافظ إبراهيم** ونبوغه في موضع الرثاء إلى هذه الصفة –قدرة الشاعر على الإندماج– حيث يقول: <<أن الحقيقة تتبرج له في هذه العظائم خاصة ليرى منها ما لا يراه غيره، وهو يتحد بالعظيم الذي يرثيه فيجيد فيمن يعرفه إجادة منقطعة النظير...و أحسبه يسأل روح العظيم الذي يصفه و يرثيه:أين المعنى الذي فيه حقيقتك؟و أين الحقيقة التي فيها معناك؟>>[2] .

فأعظم شيء يمتلكه الشاعر في نبوغه هو قدرته على النظر إلى الكون والحياة نظرة خاصة تختلف عن نظرة البشر العاديين وبهذا يستطيع إدراك وفهم أشياء تغيب عن كثير من الناس.

أما بخصوص الصفة الخامسة والأخيرة من صفات الشاعر فنجد أنها تتمحور حول كيفية النفاذ إلى الأعماق والوصول إلى سرية الكون وسحر خفاياه، فحري بالشاعر أن يتغلغل إلى أغوار وأسرار الطبيعة والإنسانية واللغة والأشياء جميعا للكشف عن معانيها وإظهارها واضحة جلية للآخرين، دون أن يشوبها أي لبس أو غموض، وهذا ما يميزه عن غيره من أصحاب النظرات السطحية للأشياء، فتراهم يأخذون القشور دون اللب

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق، ص:236.
(2) المرجع نفسه ،ص:280.

والنوى دون التمر، يقول **الرافعي**:<< فليس يكون أدبا إلا إذا وضع المعنى في الحياة التي ليس لها معنى،أو كان متصلا بسر هذه الحياة>> (1) .

وهكذا نجد أن الشعر يتصل بأسرار وخفايا الأشياء لا بمرئياتها وظواهرها،يقول **الرافعي**:<< الشعر في أسرار الأشياء لا في الأشياء ذاتها>> (2).

كما نجد كذلك أن للأديب عملا محوريا وأساسيا على غرار الخبرة والإطلاع والثقافة والعلم وغير ذلك من المقومات التي تنمي أفكاره وتزيد من موهبته وهو: <<النفس الإنسانية بأسرارها المتجهة إلى الطبيعة، والطبيعة بأسرارها المتجهة إلى النفس، لذلك فموضع الأديب من الحياة موضع فكرة حدودها من كل نواحيها الأسرار>>(3).

فنلاحظ أن الشاعر عند **الرافعي** مرتبط ارتباطا وثيقا بأسرار الحياة وصلة نفسه بها،<< كما أن لهذه النفس قدرة على النفاذ إلى حقائق الطبيعة في كائناتها عامة وفي إنسانها خاصة، ثم بقدرة مثل هذه في النفاذ إلى أسرار اللغة الشعرية>>(4).

فنراه شديد الافتخار والاعتزاز بولوج الشاعر إلى الأسرار الكونية وكشفه لها وتطلعه عليها دون سواه من البشر وتكراره كلمة (الأسرار) خير دليل على ذلك.

كما أنه لا يمكن أن نقول عن شخص ما بأنه شاعر إن لم يكن له شعر،هذا الأخير الذي يعرج عليه **الرافعي** بقوله:<<فبالشعر تتكلم الطبيعة في النفس، وتتكلم النفس للحقيقة وتأتي الحقيقة في أظرف أشكالها وأجمل معارضها، أي في البيان الذي تصنعه هذه النفس الملهمة حين تتلقى النور من كل ما حولها وتعكسه في صناعة نورانية متموجة بالألوان في المعاني والكلمات والأنغام>>(5).

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق، ص:212.
(2) المرجع نفسه،ص:235.
(3) المرجع نفسه،ص:215.
(4) المرجع نفسه،ص:239.
(5) المرجع نفسه،ص:235.

فالشعر وحده من يعكس الألوان والأشكال المختلفة الموجودة في الحياة على نفسية الشاعر، فيعبر عنها بأحسن الأحاسيس وأصدقها، لما يراه الشاعر من أمور باطنية غير مرئية للعيان كما أنه يمتلك قدرة على خلق الأشياء وتصويرها في أحسن صورة وبخصائص جميلة ومتميزة في إظهار مواطن جمالها التي لم يرها الناس،و كأنها جديدة ولم تكن موجودة من قبل.

وكما أن للشاعر صفات اعتبرها **الرافعي** من أهم المميزات التي تميزه عن غيره من البشر، نجد أن للشعر كذلك صفات ميزته منها: الصورة، والخيال، والشعور، والألفاظ والقافية، والوزن وغيرها، ونرى أن كل مدرسة مالت إلى مميزات على حساب مميزات أخرى، وذلك حسب توجهها الذي تبنته، أما **الرافعي** فنجد أنه أولى اهتماما كبيرا بهذه العناصر، ولعل أهمها الأفكار وكيفية استحواذها على الشعر،فالشعر في نظره مجموعة أفكار تكونه،و يفرق لنا بين أفكار الشعر وأفكار العلم والفلسفة فيقول: << ليست الفكرة شعرا إذا جاءت كما هي في العلم والمعرفة، فهي في ذلك علم وفلسفة، وإنما الشعر في تصوير خصائص الجمال الكامنة في هذه الفكرة على دقة ولطافة كما تتحول في ذهن الشاعر الذي يلونها بعمل نفسه فيها ويتناولها من ناحية أسرارها>>[1] .

فهذه الأفكار يضفي عليها الشاعر من رونق ودقة في التصوير واستخراج خصائصها وجمالها الباطني،و تبيين جوانبها اللطيفة بأسلوبه المتميز من جهة، ومن جهة أخرى نجد الشاعر لا يقدم الأفكار من أجل المعرفة فقط،و تقريرها في ذهن القارئ تقريرا علميا، لأنه يخاطب ذوق القارئ، محاولا التأثير في أحاسيسه وخلجاته فيقول **الرافعي**:<< فالشاعر العظيم لا يرسل الفكرة لإيجاد العلم في نفس قارئها حسب، وإنما هو

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق،ص236.

يصنعها ويحذوا الكلام فيها بعضه على بعض، ويتصرف بها ذلك التصرف ليوجد بها العلم و الذوق معا، وعبقرية الأدب لا تكون في تقرير الأفكار تقريرا علميا بحتا>>[1].

فالرافعي ينادي بالتمسك بهذه الأفكار وصياغتها بما يناسب الشعر من حقائق وما يتطلع إليه من أهداف، تكون مناسبة للموسيقى والخيال. والحقيقة ليست شعرا بذاتها وإنما كيفية تصوير هذه الأحاسيس بما يوافق نفسية الشاعر والحقيقة المنطق منها، بالإضافة إلى اللغة الشعرية التي يحث فيها على وجوب انتقاء الألفاظ المناسبة رغم صعوبة ذلك،لأن الشعر في نظره مزيج موسيقي أولا مزيج لغوي ثانيا. وبما أن اللغة ظاهرة اجتماعية لدى جميع الناس فإن لغة الشعر تختلف عن هذه اللغة،لهذا وجب على الشاعر أن يتقيد بقواعد اللغة ويهتم بها من كل الجوانب ويتمحصها جيدا في اختيار الكلمة المناسبة شعريا، يقول الرافعي:

<< ولو علموا لعلموا أن ألفاظ الشعر هي ألفاظ من الكلام يضع الشعر فيها الكلام الموسيقي معا، فتخرج بذلك من طبيعة اللغة القائمة على تأدية المعنى بالدلالة وحدها إلى طبيعة لغة خاصة أرقى منها تؤدي المعنى بالدلالة والنغم والذوق، فكل كلمة في الشعر تجتلب لمعناها من تركيبه، ثم لموضعها من نسقه، ثم لجرسها في ألحانه، وذلك كله هو الذي يجعل للكلمة لونها المعنوي في جملة التصوير بالشعر، وما يمر الشاعر العظيم بلفظة من اللغة إلا وهي كأنها تكلمه تقول: دعني أو خذني>>[2].

فنلاحظ أن تبيين **الرافعي** لوظيفة اللغة الشعرية بهذا الوضوح والشفافية، أكبر دليل على تمكنه منها ووعيه بها، فهو يبين لنا بأن اختيار الكلمة لتقع موقعها الملائم، وتعمل عملها على أكمل وجه سواء كانت خيرة أو شريرة، رفيعة أو وضيعة، راجع إلى ذوق الشاعر وخبرته وتمكنه، فنراه يقرر أن: << للألفاظ ما يشبه الألوان، فليست كلها زرقاء

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق،ص:237.
(2) المرجع نفسه ،ص: 243.

ولا صفراء ولا حمراء، ورب لفظة رقيقة تقع ضعيفة في موضع فيكون ضعفها في موضعها ذاك هو كل بلاغتها وقوتها، كفترة السكوت بين أنغام الموسيقى:هي في نفسها صمت لا قيمة له: ولكنها في موضعها بين الأنغام نغم آخر ذو تأثير بسكونه لا برنينه وهذا من روح الفن في الأسلوب>>[1].

فهو يشبه لنا الألفاظ بالألوان التي لا يمكنها أن تأخذ مكان غيرها، فكذلك الألفاظ فلكل لفظة مكانها وموقعها الخاص بها، فكما يقال: لكل مقام مقال، وحتى السكوت له دلالاته ومعانيه في بعض الأحيان، وفي بعض المواقف، فمثلا عند الاستماع للموسيقى لا بد من توفر شرط السكوت والهدوء حتى تؤدي معناها على أكمل وجه، وتوصله في أسلوب فني متميز.

فاللفظ عند **الرافعي** يستمد قيمته من التركيب الذي يرد فيه لأنه يتحكم في المعنى ويبرزه <<ولكن هذا التنظير لم يظهر في تطبيقاته النقدية، فقد ظلت تدور في إطار الألفاظ وصحتها من حيث اشتقاقها واستعمالها لغويا>>[2].

ومن العناصر التي يراها **الرافعي** من خصوصيات الشعر العربي أيضا الوزن والقافية، اللذان يضاهيان اختيار اللفظة من حيث الصعوبة، لأن الشاعر لا يوظفهما عشوائيا، وإنما يفعل ذلك بعد تدقيق وتمحيص، فيقول في ذلك: << وكما يهملون اختيار اللفظ والقافية يتسهلون في اختيار الوزن الملائم لموسيقية الموضوع فإن من الأوزان ما يستمر في غرض من المعاني ولا يستمر في غيره، كما أن من القوافي ما يطرد في موضوع ولا يطرد في سواه، وإنما الوزن من الكلام كزيادة اللحن على الصوت: يراد منه إضافة صناعة من طرب النفس إلى صناعة من طرب الفكر، فالذين يهملون كل ذلك لا يدركون شيئا من فلسفة الشعر ولا يعلمون أنهم إنما يفسدون أقوى الطبيع تين في

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق ،ص: 279.
(2) طالب محمد إسماعيل:مقدمة في النقد العربي التطبيقي،كنوز المعرفة،عمان،الأردن،ط1433،1ه/2012م،ص43.

صناعته، إذ المعنى قد يأتي نثرا فلا ينقصه ذلك عن الشعر من حيث هو معنى، بل ربما زاده النثر إحكاما وتفصيلا وقوة بما يتهيأ فيه من البسط والشرح والتسلسل، ولكنه في الشعر يأتي غناء، وهذا ما لا يستطيعه النثر بحال من الأحوال>>[1].

فنلاحظ أن **الرافعي** حريص كل الحرص على الوزن والقافية، وذلك بدعوته لمستعمليهما بضرورة حسن اختيارهما وتوظيفهما التوظيف المناسب لهما، لأن مهملي الوزن و القافية في نظره،هم مفسدون للشعر ، لا مصلحون له، ويتهمهم بأنهم لا يفقهون في فلسفة الشعر شيئا.

(1) مصطفى صادق الرافعي:المرجع السابق،ص244.

6 رسائل الأحزان في فلسفة الحب والجمال بين النقد والرد:

رسائل الأحزان هي أربع عشرة رسالة كتبها "مصطفى صادق الرافعي" سنة 1924م، وهي رسائل مفعمة بالأحزان كما يدل عليها العنوان، ويظهر أن " الرافعي" قد شقى من داء الحب يوم كتبها، وقد كان كمن يؤرخ عهدا من شبابه بعد أن رقت سنه وذهب يقينه من الدنيا، ولم يبق إلا ظنه، فهو يكتب والكلام يحن لديه، والقلم يئن في يديه فكان قلمه هو الذي يكتبها ولكن قلبه هو الذي يميلها. وقد لقيت قبولا وإعجابا كبيرا من طرف الكثير من القراء وخاصة فئة الشباب ممن عاشوا حياة عاطفية شبيهة بتلك التي عاشها " الرافعي".

إلا أنه هناك من لم يعجبهم هذا الكتاب واعتبروه كلاما باطلا لا يسمن ولا يغني من جوع، وأكبر معارض لهذا الكتاب الناقد " طه حسين " الذي أعده واعتبره كلاما سخيفا لا يرقى إلى درجة كتاب، بل هو عبارة عن مجموعة من الكلام الفارغ الذي لا معنى له.

وقد ادعى أنه لم يفهمه رغم محاولاته العديدة في فهمه فيقول:" فكيف تستطيع أن تنقد كتابا لا تفهمه؟ وما رأيك في أني لا أفهم كتاب الأستاذ الرافعي؟ لا أفهمه . ولقد اجتهدت في أن أفهم، فقرأت وقرأت واستأنفت القراءة، ولكني لم أفهم شيئا" [1] ولكن الرافعي لم يقف مكتوف اليدين حيال هذا الأمر، بل كان له بالمرصاد ، فكتب مقالا مليئا بالسخرية اللاذعة والتعريض المر وبعث به إلى جريدة السياسة " [2]، التي هي عرين الأسد بالنسبة لـــ " طه حسين" يقول فيه:" إلى الأستاذ الفهامة الدكتور طه حسين، يسلم عليك المتنبي ويقول لك:

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

(1) طه حسين: المرجع السابق، ص: 121.
(2) يذكر: الأستاذ سعيد العريان في كتابة " حياة الرافعي" ص:103 أن مشادة حادة جرت بين الرافعي وطه حسين في دار السياسة الأسبوعية بمشهد من الدكتور محمد حسين هيكل خرج الرافعي يتحدث عنها وعن غلبته فيها وصمت طه وهيكل عن الحديث عنها.

قرأت يا سيدي ما كتبته عن " رسائل الأحزان " مما أتسمح في تسميته نقدا، وألممت بالغاية التي أجريت إليها كلامك وما كان يخفى علي أن في الحق ما يسمى تعسفا، وفي النقد ما يدعى تهجما، وفي المنطق ما يعرف بالمغالطة، وفي كل صناعة ما هو انتحال ودعوى وتلفيق... ولعمري لقد كنت تكتب غير ما كتبت لولا أنك سمعت مني ما سمعته في تخطئتك والرد عليك حين قام الجدال بينك وبين الأستاذ هيكل.[1]

ورأيتك وقتئذ تكاد تبتلعك ثيابك، وكان كلامي منك كالماء يسقي شجرة الحنظل المر فما يزيد إلا مرارة ".[2]

أكد أديبنا هنا بأن " طه حسين" كان سيكون له رأي مخالف لما قاله عن كتاب رسائل الأحزان لولا أن " الرافعي " قام بتخطئته في جدال قام بينه وبين " محمد حسين هيكل".

ثم يواصل " طه حسين " نقده للكتاب فيقول:" لست أتخذ نفسي مقياسا للناس، وإنما أتخذ نفسي مقياسا لنفسي، فإذا قلت أنني لا أفهم، ليس معنى هذا أنت الناس لا يفهمون وإذا قلت أفهم فليس معنى هذا أن الناس يفهمون. ولكنك تسألني أن أنقدك كتابك وأعلن رأيي فيه، فلم تسألني هذا ؟ ألست تسألني إياه لأنك تريد أن يعرف الناس رأيي في كتابك ولأنك تظن أن كتابك قد يصيب خيرا قليلا أو كثيرا حين أتناوله بالنقد، وأنت قد سألتني أن أنقد كتابك، سألتني هذا حين أهديت إلي هذا الكتاب، وسألتنيه حين كتبت إلي في الصيف الماضي كتابا حلوا رقيقا تطلب إلي فيه أن أقول رأيي في الكتاب... ورأيي في الكتاب أني لا أفهمه، وإذا فلا يمكن أن يكون جيدا. ذلك أني وإن لم أتخذ نفسي مقياسا للناس فلست من الأميين ولا من الذين يشق عليهم أن يفهموا الآثار الأدبية القيمة. وإذا فإذا كتبت كتابا لا سبيل إلى أن أفهمه فيجب أن يكون في هذا الكتاب عيب حال بيني وبين فهمه، ذلك لأني أقرأ القرآن فأفهمه، وأقرأ الشعر فأفهمه وأقرأ ضروبا من النثر العربي

(1) طه حسين: المرجع السابق، ص: 121.
(2) مصطفى صادق الرافعي : تحت راية القرآن ، ص: 85.

والأجنبي فأفهمها، وأقرأ كتابك فلا أفهمه، فيجب أن يكون كتابك شيئا لا كالكتب، ويجب أن يكون مذهبك في الكتابة شيئا لا كالمذاهب"[1]

فهو يعتبر نفسه مقياسا لنفسه لا مقياسا للآخرين، والشيء الذي يفهمه هو قد لا يفهمه الآخرون، وما يفهمه الآخرون قد لا يفهمه هو، وبأن الرافعي طلب منه أن ينقد كتابه من أجل أن تزداد قيمته لدى القراء، ولكنه لم يفعل ذلك بحجة أنه لم يفهمه رغم أنه يستطيع فهم أي شيء يقدم له سواء كان قرآنا أو شعرا أو نثرا عربيا أو غربيا أو غير ذلك، إلا كتاب الرافعي فإنه لا يفهمه وذلك لعيب فيه.

ويواصل الرافعي هو الآخر في رده على " طه حسين " قائلا: << ولننظر الآن في نقدك " رسائل الأحزان" والعلة في أنك لا تفهمها فأما النقد فليس هناك إلا أنك لا تفهم كما تدعي على نفسك وماذا على من ذلك، ولقد قلت لك إن الذي لا يفهمه أنت يفهمه سواك وإن الله خلق رؤوسا غير رأسك، وعقولا غير عقلك، وإنه ليس من أحد يعترف أنك مقياس العقل الإنساني في الأرض، فمسخت هذا كله وزعمت أني قلت لك : << لم تتخذ نفسك مقياسا للناس>> ثم رددت على هذه الكلمة بقولك :<< إني أتخذ نفسي مقياسا لنفسي >> ففسر لي أصلحك الله كيف تكون نفسك مقياسا لنفسها؟ أليس المقياس آلة لقياس غيره فكيف يتأتى لك أن تكون نفسك التي تقيسها غير نفسك التي تقيس عليها ؟ أم أنت ستلجأ إلى أصول البلاغة وتجعل العبارة على التجريد، فلم لا تفهم الكلام البليغ على هذه الأصول بعينها وما هذا التحذلق وما هذا التداهي >>[2]

<< أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ >>[3] كما يقول الله تعالى في كتابه العزيز.

(1) طه حسين: المرجع السابق، ص: 121.
(2) مصطفى صادق الرافعي : المرجع السابق، ص: 88.
(3) سورة الملك ، الآية : 22.

فنرى هنا أن " الرافعي " يسخر ويستهزئ من شخص " طه حسين " مخبرا إياه بأن الجميع يفهمون ما قال إلا هو، ناف عن نفسه التهمة التي وجهها له، بأنه هو الذي قال له :<< لم تتخذ نفسك مقياسا للناس>>، طالبا منه أن يوضح ويفسر له كيف تكون نفسه مقياسا لنفسه، فالمقياس آلة لقياس الغير لا لقياس النفس، إلا إذا كان عبقري أو داهية زمانه.

ولم يقف " طه حسين" عند هذا الحد فحسب، بل تعداه إلى ما هو أكبر من ذلك حين قال:<< مالي لا أتبسط بعض الشيء، فأقول إن كل جملة من جمل هذا الكتاب تبعث في نفسي شعورا قويا مؤلما بأن الكاتب يلدها ولادة، وهو يقاسي في هذه الولادة مما تقاسيه الأم من آلام الوضع، ولو أنه ظفر بعد هذه الآلام بما تظفر به الأمهات بعد آلام الوضع لقلنا آلام قيمة لها نتائجها الحسنة ، وأثارها الخالدة، ولكنه لا يظفر من هذه الآلام بشي فأنت لا تجد لذة في قراءة هذه الجمل المتعبة المكدودة التي شقت على كاتبها، وهي تشق على قارئها. [1]

أيعقل أن يكون " الرافعي " قد قاسى حقا آلام قوية تشبه آلام الوضع في كتابته لرسائل الأحزان ؟ هذا ما يراه صاحبنا " طه حسين " من خلال قوله، والذي نلمح في ظاهره سخرية واستهزاء بتشبيهه بالأم التي تعاني آلام الوضع، لكنه لا يفرح مثل فرحتها بمولودها، فمولوده غير مقبول وغير مرحب به عكسها هي. كما نلمح في باطنه حقد وحسد كونه لم يستطع ولن يستطيع الكتابة على منوالها مهما حاول ذلك.

الرافعي تراه يسير جنبا إلى جنب مع " طه حسين " في الرد على كل ادعاءاته الباطلة فيقول: << ثم رأيتك تنحط في منزلة دون المنزلتين مما يدل على بعدك من الإنصاف وذهابك عن حقيقة النقد، فتزعم أن كل جملة من جمل الكتاب تبعث في نفسك شعورا قويا أن الكاتب يلدها ولادة وهو يقاسي في هذه الولادة ما تقاسيه الأم من آلام

(1) طه حسين : المرجع السابق، ص : 122.

الوضع ... لقد نبغت في الخيال بعد أن قرأت رسائل الأحزان... ولقد كتبت رسائل الأحزان في ستة وعشرين يوما فاكتب أنت مثلها في ستة وعشرين شهرا، وأنت فارغ لهذا العمل وأنا مشغول بأعمال كثيرة لا تدع لي من النشاط أو من الوقت إلا قليلا، وها أنا أتحداك أن تأتي بمثلها أو بفصل من مثلها، وإن لم يكن الأمر عندك في هذا الأسلوب الشاق عليك إلا ولادة وآلاما من آلام الوضع كما تقول فعلي نفقات القابلة والطبيبة متى ولدت بسلامة الله ...>> [1] .

فهو هنا يحط من قيمة خصمه ويبطل زعمه ويتحداه بأن يأتي ولو بجزء بسيط من مثل كتابه، مع إعطائه متسعا كافيا من الوقت ، وهو في هذا المقام يشبه الرسول (ص) حين تحدى المشركين بأن يأتوا ولو بسورة أو آية من آيات القرآن الكريم.

وأخيرا يصل " طه حسين في نقده إلى منزلة رابعة هي أحط وأدنى من كل هذه الثلاث التي سبقتها فيقول فيها : " إن الأستاذ الرافعي قد تكلف مشقة لا تكاد تعدلها مشقة في وضع هذا الكتاب، ذلك شيء يظهر واضحا جليا لمن يقرأ من هذا الكتاب أسطرا قليلة أو هو تكلف العناء في طبعه ونشره وأنفق مالا في هذا الطبع والنشر، فقد يكون من الإسراف في القسوة أن تعرض لعمل كهذا فيه مشقة وعناء ومال فتعلن أنه غير جيد وتعلن أنك لا تفهمه. وأنت تظلم الأستاذ الرافعي إن قلت أنه لا يشق على نفسه في الكتابة والتأليف، بل أنت تنصفه إن قلت أنه يتكلف من المشقة في الكتابة والتأليف أكثر مما ينبغي. ولقد كنت أريد أن أقول أنه ينحت كتبه من الصخر ولكني أجد في هذه الجملة ما لا ينبغي لوصف هذه المشقة! [2]

فـــ " طه حسين " يرى بأن " الرافعي " وجد صعوبة كبيرة في تأليف كتابه " رسائل الأحزان " وأنه عان الأمرين في طبعه ونشره وإنفاق المال الكثير جراء ذلك، إلا أن تعبه

(1) مصطفى صادق الرافعي : المرجع السابق، ص : 86-87.
(2) طه حسين: المرجع السابق، ص : 122.

وجهده لم يكلل بالنجاح ، فقد كان الكتاب رديئا وغير مفهوم، رغم ما بذله من جهد وعناء في تأليفه مشبها إياه بالناحت على الحجر لشدة المشقة التي عاناها في ذلك .

ولعل " الرافعي " يصل مع " طه حسين " ونقده إلا درجة أشبه ما تكون بالاقتتال داخل حلبات المصارعة ، فقد احتدم الجدال بينهما وأخذت المسألة شكل المحاورة الكلامية المتسمة والمتميزة بالعنف والجفاف، فيجيء الرافعي رادا على ما قاله طه حسين بقوله: << قلت : أنا أعلم أن الأستاذ الرافعي قد تكلف مشقة لا تكاد تعدلها مشقة في وضع هذا الكتاب ... وهو تكلف العناء في طبعه ونشره، وأنفق مالا في هذا الطبع والنشر، فقد يكون من الإسراف في القسوة أن نعرض لعمل كهذا فيه مشقة وعناء ومال فنعلن أنه غير جيد ... فما أنت والمال والطبع والنشر؟ ولكن اعلم أن هذا الكتاب لم يمض على صدوره أربعون يوما معدودة حتى رد كل ما أنفق عليه قرشا قرشا، وسل كل طبيعي الكتب العربية وكل مؤلفين، هل اتفق لهم حادث واحد مثل هذا ؟ ... ألا عد عن هذا الأسلوب أسلوب شفقة الضرة على الضرة، وأبق مثل هذا الكلام لكتبك وأمثال كتبك. [1]

فـــ " الرافعي " يعترف بأن المال الذي أنفقه في الطبع والنشر لا يهمه، وأن الكتاب قد استرجع كل الأموال التي أنفقت عليه في غضون أيام معدودات من صدوره لا تتجاوز الأربعين يوما، مضيفا أن الكلام الذي قاله طه حسين ينطبق على كتبه وأمثال كتبه فقط.

إن خصومة الرافعي وطه حسين لم تكن بداياتها الأولى من أجل كتاب رسائل الأحزان، وإنما بدأت واضحة وجلية في شكل منافسة لنيل المكانة الأدبية عند جمهور المتأدبين، فكان طه حسين يشوه ويحط من قيمة كل أعمال الرافعي الأدبية مثل: حديث القمر، الجزء الأول من تاريخ آداب العرب، رسائل الأحزان، هذا الأخير الذي أوقد شعلة الخصومة والنقد بينهما، ولئن كان نقد " طه حسين " شديدا ومتطاولا ساخرا ومستهزئا فإن رد الرافعي كان أشد وأعنف بكثير إلا درجة أنه أوقف خصمه عاجزا عن الحراك

(1) مصطفى صادق الرافعي: المرجع السابق، ص : 87.

مكبل اليدين، معقود اللسان، منكسر الخاطر لأن الرافعي استعمل من وسائل الطعن وأساليب العنف مالا يستعمله طه حسين وهو في أشد حالات غضبه فيقول معبرا عن ذلك: << ونحن مستيقنون أن ليس في جدال من نجادلهم عائدة على أنفسهم، إذ هم لا يضلون إلا بعلم وعلى بينة ! ... ولو كان أسلوب الكلام فيه من الشدة والعنف والقول المؤلم أو التهكم ، فما ذلك أردنا ... ولو كان أصحابنا غير من هم في الأثر والمنزلة لكان أسلوبنا غير ما هو في النمط والعبارة >> (1)

نلاحظ أن الرافعي يعترف بأن أسلوبه كان قاسيا جدا ولكن طبيعة المخاطب هي التي فرضت عليه ذلك ولو أن كلامه كان موجها لشخص آخر لتغير أسلوبه في الحديث.

(1) مصطفى صادق الرافعي: المرجع السابق ، ص : 05.

7 -الخصائص الفنية لأدب الرافعي :

اختص أدب الرافعي بخصائص وملامح ميزته عن أدب غيره من الأدباء والنقاد السابقين والمعاصرين له ، نستطيع حصرها في النقاط التالية: الأصالة الإسلامية – أصالة المعاني والألفاظ – القوة في الحق – ونفصل القول فيها كالآتي:

أ -الأصالة الإسلامية:

تعد هذه الخاصية والسمة من أبرز السمات التي تميز بها أدب " الرافعي" فقد كان أديب الفكرة الإسلامية دون منازع، وهذا ما نلحظه منذ نشأته الأولى فقد كان الولد البار بوالديه، الحافظ للقرآن الكريم في سن مبكرة، فقد تشبع بالثقافة العربية الإسلامية منذ أن كان طفلا صغيرا وبقيت معه حتى مماته، وهذا ما نراه من خلال إبداعاته وكتاباته النقدية والأدبية، فمعظم كتبه ذات طابع ديني إسلامي كإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحت راية القرآن وهو ما يدل على أنه كان يبغي وجه ربه في كتاباته، فلا الشهرة ولا المال ولا المنصب والجاه كانت هدفه، وإنما كان الإسلام هو دافعه وموجهه، وقد كان لهذه الكتابات أثر بالغ على كبار الكتاب آنذاك، فقد كانت سببا في هداية كثير منهم، يقول:" مصطفى الشكعة " في هذا الشأن:<< إن مصطفى صادق الرافعي لم يكن كاتب الفكرة الإسلامية وحسب، ولم يكن رائد الدعوة المؤمنة وحسب، وإنما كان سببا لهداية الكثير من كبار الكتاب العربية المعاصرين له، فأصبحوا بفضل دعوته ومن بعده كتابا مؤمنين وسدنة في محراب الفكر الإسلامي بعد أن كانوا في طرف آخر بعيد كل البعد عن نطاق العقيدة وجوهر الفكرة الإسلامية، وبعد أن كانوا يتفاخرون بالتحامل عليها ويتظاهرون بالتطاول على حماها. [1]

فلقد كان الرافعي حقا مصدر خير وبركة على الأمة الإسلامية جمعاء، فبفضله عاد الكثير من الأدباء والنقاد الذين كانوا معادين للعربية والدين والداعين إلى الفرعونية

(1) مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص : 216.

والأوروبية والإلحاد إلى حظيرة الفكر الإسلامي أمثال: محمد حسين هيكل، عباس محمود العقاد، منصور فهمي، طه حسين .

ب -أصالة المعاني والألفاظ :

إن المتمعن في كتابات " مصطفى صادق الرافعي" يجد أن لهذا الكاتب العظيم دقة في الألفاظ وسموا في المعاني وكأنما عاش معاصرا لكبار الأدباء أمثال: بديع الزمان ابن المقفع ، الجاحظ . هذا الأخير الذي يجمع جمهور نقادنا القدامى والمحدثين على الاعتراف بالتلمذة على يديه، ويوردون له الكثير من الشواهد والآراء في كتبهم النقدية والبلاغية على مر العصور. [1] ولم يعش في القرن العشرين لأن أسلوبه ولغته وفنه بعيد كل البعد عن أسلوب ولغة وفن من عاصرهم من الأدباء يقول مصطفى الشكعة :<< فقد كان الرافعي شاعرا ومبدعا وكاتبا بارعا، وكان مؤرخا عميق الفهم لفلسفة التاريخ وقضايا الأدب، كما كان ناقدا غلبت عليه حدة القول وعنفوان التناول، ولكنه في نفس الوقت كان ثاقب النظرة لماح الخاطر وافر الإنتاج، ثم هو لغوي يفهم سر العربية التي أسلست له قيادها طوعا وحبا، فكانت جملته فصيحة محتوى الألفاظ، مشرقة سبك الديباجة، ثرية مناهل المعاني، رشيقة فصائل المضمون[2].

كل هذه الأشياء وغيرها أدت إلى معاداته من قبل أدباء عصره إلى درجة أنهم لم يذهبوا لتعزية أهله عند وفاته، باستثناء شخص واحد وهو " طه حسين" الذي بعث ببرقية إلى ولده يعزيه فيها.

(1) محمد بن عبد الغني المصري: نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، دار محدلاوي ، عمان الأردن، ط1، 1407هـ ، 1987 م ، ص : 05.
(2) مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص:21.

ج –القوة في الحق:

اشتهر الرافعي بقول الحق في كتاباته وعدم تردده أو خوفه من أي كان مهما كان موقفه أو ردة فعله فقد وقف كالطود في وجه كل من يعدهم خارجين ومنحرفين عن الحق، داعين إلى الباطل، فنرى أنه لم يسلم أحد من قلم الرافعي ونقده فلا شاعر الملك عبد الله عفيفي، ولا العقاد كاتب الوفد الأول بالرغم من مدح هذا الأخير لأساليب الرافعي إلا أن هذا لم يمنعه من توجيه نقده اللاذع له ، خصوصا في كتابه على السفود.

كما لا ننسى طه حسين الذي انتقده في كتابه " تحت راية القرآن" بعد إصداره لكتاب " في الشعر الجاهلي" وهو كتاب صغير يتضمن محاضراته التي يلقيها على طلابه في الجامعة إلا أنك عند قراءته تلاحظ منذ الصفحة الأولى أنه كان حريصا على استفزاز القارئ، وكان صداميا لأقصى درجة هذا ما دفع بالرافعي إلى التصدي له بالنقد حرصا منه على اللغة العربية من جهة وعلى الدين الإسلامي من جهة أخرى. فقد قال عنه: << ولقد كان من أشدهم عراما وشراسة وحمقا هذا الدكتور " طه حسين" أستاذ الآداب العربية في الجامعة المصرية فكانت دروسه الأولى " في الشعر الجاهلي " كفرا بالله وسخرية بالناس، فكدب الأديان وسفه التواريخ وكثر غلطه وجهله...>> [1].

فطه حسين حسبه من أكبر المتحاملين على اللغة والدين والتاريخ، هذا الأخير الذي اهتم به الرافعي اهتماما كبيرا في صياغة الوقائع بيانيا وتربويا.

(1) مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن، ص:08.

8 الرافعي وأسلوبه الأدبي في تناول التاريخ الإسلامي:

لا أحد ينكر بأن مصطفى صادق الرافعي رائد في تاريخ الأدب العربي، سواء من الناحية الأدبية أو من الناحية التاريخية فهو بحق أديب الفكرة العربية الإسلامية، بما كان يحمله في نفسه من عقيدة صادقة مستندة على مبادئ وأسس وثقافة واسعة وتبصر بأمور الدين فالرافعي بقلمه الفذ وأفكاره الراقية يمثل تراثا خالدا لانفراده بأسلوب متميز دون سواه" ولو سئلت أن أصف الطريقة الرافعية، لقلت أنها أشبه برجل مصعد في جبل صعب المرتقى لا يكاد يبلغ غايته حتى يكون قد نضح عرقا وشغلته وعورة المسالك عن التمتع بجمال المناظر". [1]

بيد أن الرافعي لم يستطع التخلص من أسلوبه المتميز وقدرته البلاغية، وبيانه المشرق في تعامله مع وقائع التاريخ فهو حقا " بيانا كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم" [2]، على حد قول سعد باشا زغلول.

كما أنه كان يهتم بجوانب عدة في صياغة الوقائع بيانيا وتربويا أهمها: إعادة صياغة الوقائع بطريقة بيانية تربوية، تترك تأثيرها في القلب والعقل معا- الدافع عن التراث العربي الأصيل الذي تقوم عليه النهضة الإسلامية- رصد النهضة العلمية في التاريخ الإسلامي بدءا من زمن بني أمية ومرورا بعصور التاريخ الإسلامية التالية – معالجة القصص القرآني والذي يعتبر بالنسبة للرافعي من أهم القصص التي يجب معرفتها من قبل كل إنسان، فهي تساعده في معرفة أسرار الكون والحياة كما تسهم في توجيهه وإرشاده إلى الصواب، بالإضافة إلى توعيته وتثقيفه بما فيها من حكم وعبر، وهكذا فإن القرآن الكريم هو الطريق المعبد المفروش بالزهور الذي يسير عليه كل إنسان يريد تغيير حياته إلى الأفضل" فكل دين سماوي إنما هو طور من أطوار النمو في هذا العقل الإنساني

(1) نجاة محمد عبد الماجد: المرجع السابق، ص: 134.
(2) مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، ج1، ص: 03.

يستقبل به الزمن دراجات جديدة في نشأته الأرضية، فما التاريخ كله إلا مقياس عقلي درجاته وأرقامه هذه العصور المختلفة التي يستعين العقل منها مقدار زيادته من مقدار نقصانه. أما من وجه آخر فإن القرآن إنما هو الدرجة الأبدية التي أجاز عليها العالم في إنتقاله من جهة إلى جهة. وإنا لمستيقنون أن هذه الدرجة هي نفسها التي سيجيز عليها العالم كرة أخرى" [1].

وبالرغم من أن القرآن الكريم جاء بقصص تاريخية حقيقية وثابتة ولا يتخللها أي شك، إلا أنه لم يكن هدفه أن يصبح كتاب تاريخ، كما لم تكن المعاني التاريخية مقصد من مقاصده.

وهكذا نجد أن الرافعي ظهر في فترة مضطربة دائمة الصراع بين الحق والباطل فقد كان هناك كثير ممن يطعنون في القرآن الكريم وقصصه أمثال: محمد أحمد خلف الله الذي يرى في مقالة له بعنوان: " الفن القصصي في القرآن" بأن القصص التي وردت عن أحوال الأمم الماضية لم تكن جديدة وأن معظمها كان معروفا لأهل الكتاب وأنها جاءت مخالفة لوثائق التاريخ وغيرها من الإدعاءات. وفي الوقت نفسه أهان طه حسين الدين الإسلامي بتكذيب القرآن في أخباره عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حيث قال:"للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هاذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها. ونحن مصرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهود والقرآن والتوراة من جهة أخرى"[2].

(1) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 82.
(2) سيد البحراوي: البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات، القاهرة، ط1، 1993، ص: 37.

فطه حسين يشكك هنا في حقيقة وجود النبيين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام رغم ورود ذكرهما في التوراة وفي القرآن، كما أنه يعتبر قصة هجرة سيدنا إسماعيل إلى مكة المكرمة ونشأة العرب المستعربة هناك مجرد حيلة وإدعاء لإيجاد صلة بين اليهود والعرب وبين الإسلام واليهود والقرآن والتوراة ليس إلا، ولا علاقة لها بالواقع.

أ. الرافعي والسيرة النبوية:

الرافعي بحكمة عقله وإيمان قلبه يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم متخذا في ذلك منهجا دقيقا مزج فيه بين ظاهرة الوحي والظواهر الكونية الكبرى،فاستطاع بذلك أن يعطي الرسول مكانته الرفيعة التي يستحقها كما أنه ربط بينه وبين الحياة والدين بأسلوب متميز يقول الرافعي في ذلك: «كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى النهار، يولد النبي فيوجد في الإنسانية ينبوع النور المسمى بالدين. وليس النهار إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها».[1]

فمحمد بن عبد الله عليه أفضل الصلوات والتسليم ولد ليكون للبشرية كالنور الساطع الذي ينير عليها طريقها ويمهده، وذلك بفضل الدين الذي جاء به ليقوم النفوس ويحقق فضائلها يقول الرافعي: « فإنما النبي إشراق إلهي على الإنسانية، يقومها في فلكها الأخلاقي، ويجذبها إلى الكمال في نظام هو بعينه صورة لقانون الجاذبية في الكواكب »[2].

يواصل الرافعي حديثه عن الإسلام وفلسفته وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ففي نظره الإنسانية استمدت نورها وحياتها منذ ظهور خاتم الأنبياء فالحياة قبله غلب عليها طابع الجهل حياة ليس لها هدف ولا غاية لهذا ما كان على الإنسانية أن تلتمس هذا إلا عن طريق النبي الأعظم نبي القيم والأخلاق الراقية «فإنسانية العالم لا تكون مثل ذلك إلا

(1) مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، ج2، ص: 05.
(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إذا عاشت في نبيها الطبيعي، نبي أخلاقها الصحيحة وآدابها العالية ونظامها الدقيق، وأين تجد هذا المحبوب الأعظم إلا في محمد ودين محمد»[1]

انطلق الرافعي في حديثه عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم مستلهما كل التفاصيل المتعلقة به مازجا بينها وبين حقيقة الإسلام التي لا تتم إلا مع هذا الرجل الذي أبهر العالم بحكمته وقوة فكره فكان نعمة الخلق على الإنسانية «وحققوا في كماله صلى الله عليه وسلم وجودهم النفسي، فكانوا من زخارف الحياة وباطلها في موضع الحقيقة الذي يرى فيه الشيء لاشيء ورأوا في إرادته صلى الله عليه وسلم أكبر العلماء الأخلاق على الأرض لا من كتب ولا علم ولا فلسفة، بل من قلب نبيهم وحده»[2]

كما نجد أن الرافعي يقف أمام أهم محطة في حياة الرسول ألا وهي موت رفيقة دربه "خديجة رضي الله عنها" وأمينة أسراره وبيته فكانت أروع مثال للزوجة والرفيقة المحبوبة لزوجها في السراء والضراء وأكبر دليل على ذلك مساندتها له في المحنة المكية. « فكانت في هذه المحنة قلبا مع قلبه العظيم، وكانت لنفسه كقول "نعم" للكلمة الصادقة التي يقول لها كل الناس"لا" ومازالت المرأة الكاملة المحبوبة هي التي تعطي الرجل ما نقص من معاني الحياة، وتلد له المسرات من عواطفها كما تلد من أحشاءها، فالوجود يعمل بها عملين عظيمين: أحدهما زيادة الحياة في الأجسام والآخر إتمام نقصها في المعاني»[3].

كذلك يعرج الرافعي على ليلة الإسراء والمعراج أو حسب تسميته "فوق الآدمية" فيعبر عنها بقوله: «قصة الإسراء والمعراج هي من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا النجم الإنساني العظيم وهو النور المتجسد لهداية العالم في حيرة ظلماته

(1) مصطفى صادق الرافعي: المرجع السابق، ص: 10.
(2) المرجع نفسه، ص: 15.
(3)المرجع نفسه، ص: 23.

النفسية»[1]، ويقول أيضا: «والنبي لا يكون نبيا حتى يكون في إنسانه إنسان آخر بنواميس تجعله أقرب إلى الملائكة في روحانيتها، وما ينزل إنسانه الظاهر الباطن هو للحقائق التي لا تحملها الدنيا، وهذا الظاهر لما يمكن أن يبلغ إليه الكمال في المثل الإنساني الأعلى ولولا ذلك الباطن ما استطاع نبي من الأنبياء أن يحمل هموم أمة كاملة لا تضنيه ولا تغيره ولا تعجزه» [2].

فالرافعي كتب في الإسراء والمعراج انطلاقا من إيمانه النقي وإن لم يقتضي ذلك لأن التسليم بالمعجزات لا يحتاج إلى العلم، فالمعجزة من صنع القدير خارجة عن القدرة الإنسانية لذلك فهي شرط الإيمان فتقبل كما هي، وإن ظهر في عصرنا من يفكر في الصعود إلى القمر واكتشاف الكوكب الآخر فهذه الأمور تسيرها الأسباب والوسائل، لهذا فالفرق شاسع بينها وبين المعجزة وهذه الأخيرة تستمد قوتها من أحقية الرسالة وشرعيتها.

ب. حسن العرض والاختيار:

أما من ناحية سمو الفقر في المصلح الاجتماعي الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الرافعي فيه: «كان النبي صلى الله عليه وسلم على ما يصف التاريخ من الفقر والقلة ولكنه كان بطبيعته فوق الاستغناء، فهو فقير لا يجوز أن يوصف بالفقر، ولا تناله المعاني النفسية التي تعلو بعرض من الدنيا وتنزل بعرض، فما كانت به خلة تحدث هدما في الحياة فيرمها بالمال. إن فقره صلى الله عليه وسلم كان أكبر من أن يتسع في الكون لا في المال، فهو فقر يعد من معجزاته الكبرى التي لم ينتبه إليها أحد إلى الآن وهو خاص به ومن أين تدبرته رأيته في حقيقته معجزة تواضعت وغيرت اسمها معجزة فيها الحقائق النفسية الاجتماعية الكبرى، وقد سبقت زمنها بأربعة عشر قرنا وهي اليوم تثبت بالبرهان معنى قوله صلى الله عليه وسلم في نفسه إنما أنا رحمة مهداة»[3].

(1) مصطفى صادق الرافعي: المرجع السابق، ص: 31.
(2)المرجع نفسه، ص: 33.
(3)المرجع نفسه، ص ص: 48-49.

إذن فهذا المصلح الاجتماعي الأعظم يعطي فقره اليوم علامة تاريخية على حياة الإنسانية ففقره أصبح درسا على الدنيا العلمية الفلسفية فهو لم ينطلق لا من كتاب ولا من فكر بل انطلق من أخلاقه وعمله وسيرته الشريفة، فالمصلح ليس من فكر وكتب وخطب لكنه الحي العظيم الذي تلتمسه الفكرة العظيمة لتحيا فيه وتنطلق منه الإنسانية، فمجمل القول أن الفلسفة الإنسانية هي أرضية أما فلسفة محمد صلى الله عليه وسلم فهي سماوية.

ج. القرآن الكريم سر النهضة الإسلامية:

إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للنهضة العلمية الإسلامية، فهو مرجعها وأصلها ووجهها الاجتماعي من حيث مدى تأثيره في العقل الإنساني وهو معجزة التاريخ العربي << القرآن أصل النهضة الإسلامية وهذه كانت على التحقيق هي الوسيلة في استبقاء علوم الأولين وتهذيبها وتصغيتها وإطلاق العقل فيما يشاء أن يرتع منها>> [1].

لهذا فالرافعي يرى أن القرآن هو سر نبوغ الأمم وعلومها فبه ترتقي وتزدهر، وهو حامل تاريخ الأمم السابقة واللاحقة «فالقرآن إنما هو الدرجة الأبدية التي أجار عليها العالم في انتقاله من جهة إلى جهة»[2].

فبالقرآن نستطيع تحقيق غاياتنا وأهدافنا التي نرموا ونطمح لتحقيقها فهو الجسر الذي ينقلنا من دنيا التعاسة والشقاء إلى دنيا السعادة والهناء.

(1) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 81.
(2)المرجع نفسه، ص: 82.

لكل بداية نهاية وها نحن نأتي إلى ختام هذه المذكرة بعد زمن قضيناه في كتابتها ورصف حروفها، وحبك نسجها، والمعنون لها بـــ " التصور الإسلامي للنقد الأدبي عند الرافعي " أودعناها طرفا من نصوص بعض العلماء الأفذاذ ، ونتفا من حرص طلاب العلم على العلم، دون نسيان قطب الرحى، وهي كتب مصطفى صادق الرافعي التي تحمل في ثناياها طاقات علمية نادرة ومحطات فذة مدهشة أثارت فضول الأدباء والنقاد وغيرهم من الباحثين الذين أشفوا غليلهم منها بعدما وجدوا بغيتهم فيها، فكانت لأهل العلم تذكرة وللعامة والخاصة تبصرة، فبغض النظر عما تضيفه هذه المذكرة إلى المكتبة الجامعية خاصة في مجال النقد الأدبي الإسلامي إلا أننا نرجو أن ينعش بها العليل، ويشحذ بها الكليل، فقد سعينا بكل ما أوتينا من جهد وقوة إلى جعلها كالمائدة تختلف عليها أصناف الأطعمة باختلاف الآكلين، ونحن لا ندعي – ما عدا الله – أننا أتينا فيها بجديد، ولا ندعي أننا أتينا فيها بخفي أو دقيق، فهي أشهر من أن تذكر، جمعناها من كتب شتى مجتهدين فقط باختيار اللفظ المناسب للموقف المناسب، فنأمل أن تكون قد جاءت كما كنا نتمنى مشكلة المباني، مختلفة المعاني، راجين أن تنبع من الجوانح لتصل إلى الجوانح وتظهر على الجوارح، فلقد خففنا وإن أكثرنا، واختصرنا إن كنا أطلنا، لكننا لم نجد بذا من الوقوف على ما أودعناه هذه الصفحات، مع علمنا أنها تخلوا من عيب أو نقص، فمن وجد عيبا فليستره، ومن وجد نقصا فليتمه، ومن وجد خطأ فليصححه.

وَمَن ذا الّذي تُرضى سَجاياهُ كُلّها* كَفى المَرءَ نُبلاً أَن تُعَدّ مَعايِبُهْ

ولكن هذا لا يمنعنا من توضيح وتبيان الكثير من النقاط والنتائج التي توصلنا إليها في هذه المذكرة والقول فيها بما نراه – حسب جهدنا– صوابا ينبغي الوقوف عنده.

1 -النقد بمفهومه العام هو الفحص والموازنة والتمييز والحكم، بمعنى هو فحص الأشياء ومعرفة صفاتها والتمييز بين جيدها ورديئها والحكم عليها.

2 -النقد الأدبي هو فن تقويم النصوص الأدبية عن طريق تمييز النفيس من الخسيس من فنون القول، بالتقدير الصحيح للمنتج الأدبي الذي يوضح قيمته في ذاته بدرجة جودته ورداءته منسوبا إلى غيره.

3 -التقييم والتقدير للأدب لابد أن ينبعث من ملكة ذواقة وفطرة سليمة، من إلمام بالأصول والقواعد الفنية التي تمكن الناقد من إصدار حكم سليم على النتاج الأدبي، مع التعليل المقنع للحكم الصادر.

4 -للأدب أهمية كبيرة في حياة الأمة العربية، فقد وجدت في أدبها شعره ونثره السجل الذي تسطر فيه مآثرها ومفاخرها وأيامها وحروبها وتاريخها والوسيلة التي يكون بها ترفيههم عن أنفسهم وفرارهم من وطأة الحياة الثقيلة إلى عالم الأدب الرحب، بما فيه من عواطف ملتهبة ومشاعر جياشة وأحاسيس صادقة.

5 -الأدب الإسلامي أدب مسؤول، فهو حريص على مضمونه الفكري النابع من قيم الإسلام العريقة فيستوعب بذلك الحياة بكل ما فيها، معبرا بصدق وأمانة عن آلام وآمال، أفراح وأحزان الشعوب والمجتمعات.

6 -النقد الإسلامي نقد بناء للأدب الإسلامي، لأنه يعنى بتقييمه وتفسيره من منظور وتصور إسلامي.

7 -للأدب الإسلامي مصادر عدة يأخذ عنها أفكاره وينهل منها مادته هي: القرآن الكريم، السنة النبوية، سيرة الصحابة والصالحين والتابعين، اللغة العربية، الآداب العالمية.

8 -لا يستطيع أي باحث في مجال الأدب أن يمر دون الوقوف على الأديب والمفكر مصطفى صادق الرافعي الذي ترك وقعا وصدى في نفوس الدارسين وخلد اسمه في تاريخ الأدب.

9 -إن مرض الرافعي الذي أصابه بوقر في أذنيه لم يمنعه من تحصيل العلم والأدب فانكب على مكتبة والده لطموحه أن يكون مثل أقرانه المتعلمين.

10 رغم تكوين الرافعي العصامي إلا أنه أصبح من فطاحلة الأدباء والنقاد الذين يشهد لهم ويعتد بهم، هذا ما جعلنا نرفعه إلى مصاف عمالقة الأدب في عصره، فهو أديب عملاق أتاه الله ملكة العلم والأدب والأخلاق، ولم يدخر جهدا في نفع نفسه أو غيره بها.

11 كان الرافعي دائما محبا للصغير، محترما للكبير، منضبطا في مواعيده مسؤولا عن أفعاله، هذا ما انعكس على حياته الزوجية، فكان حسن المعاشرة مع زوجته لطيف التعامل مع أولاده، فكان حقا رمزا للزوج والأب المثالي.

12 عن طريق الأدب كان العربي يرتبط بعالم المرأة بما فيه من سحر وجمال من خلال الغزل الرقيق الذي يثير لواعج النفس ويعرب عن لوعة القلب الموجع بنار الحب وعن طريقه استطاع الرافعي أن يعبر عن كل ما يشعر به ويحسه اتجاه المرأة التي ملكت فؤاده وسكنت قلبه وألهمته روائع كتبه كرسائل الأحزان وأوراق الورد.

13 لقد أحب الرافعي كغيره من الناس وجعل من حبه فيضا من أسمى معانيه المتفاعلة مع روحه وفكره ضمنه كتبه الخالدة: حديث القمر، رسائل الأحزان ، السحاب الأحمر، أوراق الورد، وبعضا من مؤلفه الضخم وحي القلم.

14 تعد كتب الرافعي النثرية منها والشعرية منهلا عذبا لكل متذوقي الأدب.

15 لقد تمكن الرافعي رغم صغر سنه من احتلال الصدارة بين أقرانه، فأصدر عدة كتب شعرية ونثرية عجز من هم أكبر منه من الكتابة على منوالها أو حتى تقليدها.

16 على الرغم مما قد يؤخذ على موضوعات نثر الرافعي وخصائصه الفنية فإنه استطاع الحفاظ على العربية وأساليبها وأسرارها ومكن لها من الحياة الأدبية المنبعثة في العصر وجدد في معانيها وصورها واستكشف لمفرداتها حياة جديدة.

17 إن الموضوعات النقدية للرافعي تبين لنا طريقة نقده التي تميل إلى البيان واللغة، والنقد عنده يتسم بالحدة والتجريح في معظم الأحيان وهو مما يعاب عليه في نقده.

18 -لقد تمكن الرافعي من تحقيق حداثة فكرية وأدبية شاملة مع حرص على القديم واحترام له، وذلك عن طريق موضوعاته التربوية والأخلاقية التي عبر عنها بصدق فني يضمن لها الخلود ما دامت في خدمة الكون والإنسانية.

19 -كان الفساد ضاربا أطنابه في مجتمع الرافعي، فقد تكالبت فيه عناصر افترت على اللغة بما ليس فيها وعلى الدين بما لم يجئ به، فجاء الرافعي بإسهاماته البناءة مدافعا عن مقومات أمته " اللغة العربية والدين الإسلامي" .

20 -إن نظرة الرافعي إلى القديم والجديد ليست نظرة تعصب إلى ما هو جديد والانحياز دائما إلى القديم، بل كانت دعوته المحافظة على ما هو موروث والتطوير فيه دون المساس بمقوماته.

ويبقى الرافعي مجالا لبحوث كثيرة – إن شاء الله – عن أعماله وإنجازاته ونشاطه الأدبي والنقدي وعبقريته وتفوقه في ميادين كثيرة لا يدركها حصر.

وفي النهاية لا يسعنا إلا أن نسأل المولى عز وجل بعزته وقدرته أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، رغم ما فيه من نقص– وهذا ما جبلنا عليه– وأن يجعل جهودنا هذه مفتاحا لدراسات أخرى تمس النقد الأدبي الإسلامي، فإن نكن أوفينا على الغاية وحققنا المراد فلله الحمد والمنة، وإن تعثرنا في عارض أو ثابت فهذا من طبيعة البشر، قال الأصفهاني في وصف أعمال البشر:

" إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاب في يومه إلا قال في غده لو غيرت هذا لكان أحسن، ولو زدت هذا لكان يستحسن، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا العمري من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر" .

ونستغفر الله مما زلت فيه القلم:

<< ربَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا

فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ >>[1] ، وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) سورة البقرة ، الآية : 286 .

أ. القرآن الكريم .

ب. المصادر والمراجع:

1.إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة عمان ط2، 2007.

2.أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي: العمدة في محاسن الشعر،و آدابه و نقده، دار الجيل،سوريا،ط2 ، 1401هـ /1981م.

3.إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1983.

4.أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي للمدراس الثانوية والعليا، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط5، 1419هـ/ 1999م.

5.أحمد كمال زكي: النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية، بيروت.

6.بدوي طبانة، قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، مصر،ط 3 1389هـ ، 1969م

7.حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان 2005م .

8.حافظ إبراهيم:الديوان، دار صادر، بيروت،لبنان،ج1،ط2، 1427هـ ، 2006م.

9.رينيه ويليك : تاريخ النقد الأدبي الحديث 1750-1950 ، مج 1، أواخر القرن الثامن عشر، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998م .

10.سيد البحراوي: البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات، القاهرة ط1، 1993.

11. سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة ، مصر، ط8 1424هـ، 2003م.

12. شوقي ضيف:الفن و مذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط11.

13. شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، دار المعارف، القاهرة، مصر ط 24.

14. شوقي ضيف:من المشرق و المغرب بحوث في الأدب ، الدا ر المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1،أكتوبر1998.

15. طالب محمد إسماعيل:مقدمة في النقد العربي التطبيقي، كنوز المعرفة، عمان، الأردن ط1، 1443 هـ/ 2012 م.

16. طه احمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1427هـ/ 2006م.

17. طه حسين: في الأدب الجاهلي ، القاهرة، ط3، 1352هـ / 1933 م .

18.طه حسين:حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج3، ط14، 2004.

19. عباس محجوب : الأدب الإسلامي قضاياه المفاهيمية والنقدية،جدار الكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2006م.

20. عبد الرحمن، محمد ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، نهضة مصر، القاهرة مصر،ط4 ،ج3 ،2006م .

21. عبد الرزاق جعنيد: المصطلح النقدي قضاياه وإشكالات، عالم الكتب الحديث الأردن،ط1، 2011.

22. عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1972.

23.عبد القادر القط:مصطفى صادق الرافعي،رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب،السحاب الأحمر،أوراق الورد رسائلها و رسائله، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر،ط1، 1994م.

24. قصي حسين : النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وإعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003.

25. كارل بروكلمان:تاريخ الأدب العربي،ترجمة:عبد الحليم النجار،دار المعارف، القاهرة مصر،ج1،ط 5.

26. كارلوني وفيللو: النقد الأدبي، ترجمة كيني سالم، دار منشورات عويدات، بيروت باريس، ط2، 1984م.

27. محمد أمهاوش: قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث الدكتور نجيب الكيلاني نموذجا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

28.محمد بن عبد الغني المصري: نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، دار محدلاوي ، عمان الأردن، ط1، 1407هـ / 1987 م.

29. محمد زغلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.

30. محمد سعيد العريان:حياة الرافعي،المكتبة التجارية الكبرى،1375ه-/1955م،ط3.

31. محمد عبد المنعم خفاجي : مدارس النقد الأدبي الحديث ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، مصر ، ط1، 1416هـ /1995م.

32. محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2006.

33. محمد محمود حمدان: من رسائل العقاد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1 1997م.

34. محمد مصايف:جماعة الديوان في النقد،نشر البعث،قسنطينة،الجزائر،1974.

35.محمد مصطفى هدارة: بحوث في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت 1994 .

36. محمود رزق، حامد: النقد الأدبي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، العلم والإيمان للنشر التوزيع ط1، 2010 م.

37. مصطفى الشكعة: مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا، عالم الكتب ، بيروت، ط3، 1403هـ/ 1983م.

38. مصطفى صادق الرافعي: الديوان ، مطبعة الجامعة الأسكندرانية، ج1، 1321هـ .

39. مصطفى صادق الرافعي: المعركة تحت راية القرآن، تح : سعيد العريان، دار الكتاب العربي، لبنان،ط7، 1974م.

40.مصطفى صادق الرافعي: رسائل الأحزان في فلسفة الجمال و الحب، مطبعة الهلال مصر، 1924.

41.مصطفى صادق الرافعي: كتاب المساكين،دار تلانتيقيت للنشر، بجاية.

42.مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي بيروت،1425ه/2005م.

43.مصطفى صادق الرافعي، أوراق الورد رسائلها ورسائله، مكتبة مصر للنشر والتوزيع مصر ، 2010 م .

44. ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط3 ، 2002.

45. ميخائيل بختين:الكلمة في الرواية،ترجمة:يوسف حلاق،منشورات وزارة الثقافة دمشق،ط1، 1998.

46. نجيب ابن خيرة: التاريخ الإسلامي– عصر الخلافة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

47. نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر ط1 ، ج/14 ، جمادى 1407 .

ج- المعاجم:

1. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين : لسان العرب، دار صبح وإيديسوفت، بيروت، لبنان ط1،ج/14.
2. الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.
3. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي: القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1 ، 1301 هـ.
4. محمد بوزواوي: معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009م.
5. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فواج، مطبعة حكومة الكويت،ج2، ط 2، 1391 هـ / 1991 م.
6. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح علي هلالي مطبعة الحكومة، الكويت، ج2 ، ط2، 1987.

د- الرسائل الجامعية:

1. بورايو عبد الحفيظ: مصطفى صادق الرافعي و النزعة الدينية و القومية في أدبه، بحث مقدم لنيل شهادة الليسانس في الأدب الحديث، لم تنشر، عزيز لعكايشي، جامعة قسنطينة 1993- 1994.
2. عز الدين بوبيش:مصطفى صادق الرافعي موضوعاته النثرية و خصائصه الفنية،رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث،لم تنشر،جامعة قسنطينة،1408 ه/1987 م.
3. كمال يوسف الحاج:مصطفى صادق الرافعي و أدبه،رسالة مقدمة إلى الدائرة العربية لنيل شهادة أستاذ في العلوم،1946 .
4. نجاة محمد عبد الماجد العباسي:الجانب الديني في أدب الرافعي،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي،إشراف:محمد بنيه حجاب،1402هـ/1982م.

هـ - المجلات والدوريات :

1. رضوان ظاظا: مدخل إلى منهج النقد الأدبي، عالم المعرفة، الكويت، 1978م.
2. عبد اللطيف شرارة: حصاد الفكر العربي الحديث في النقد الأدبي، مؤسسة ناصر للثقافة الإسكندرية ، مصر ، ط1 ،1981م
3. محمد موسى الوحش: موسوعة أعلام الشعر العربي، دار دجلة، عمان، 2008.